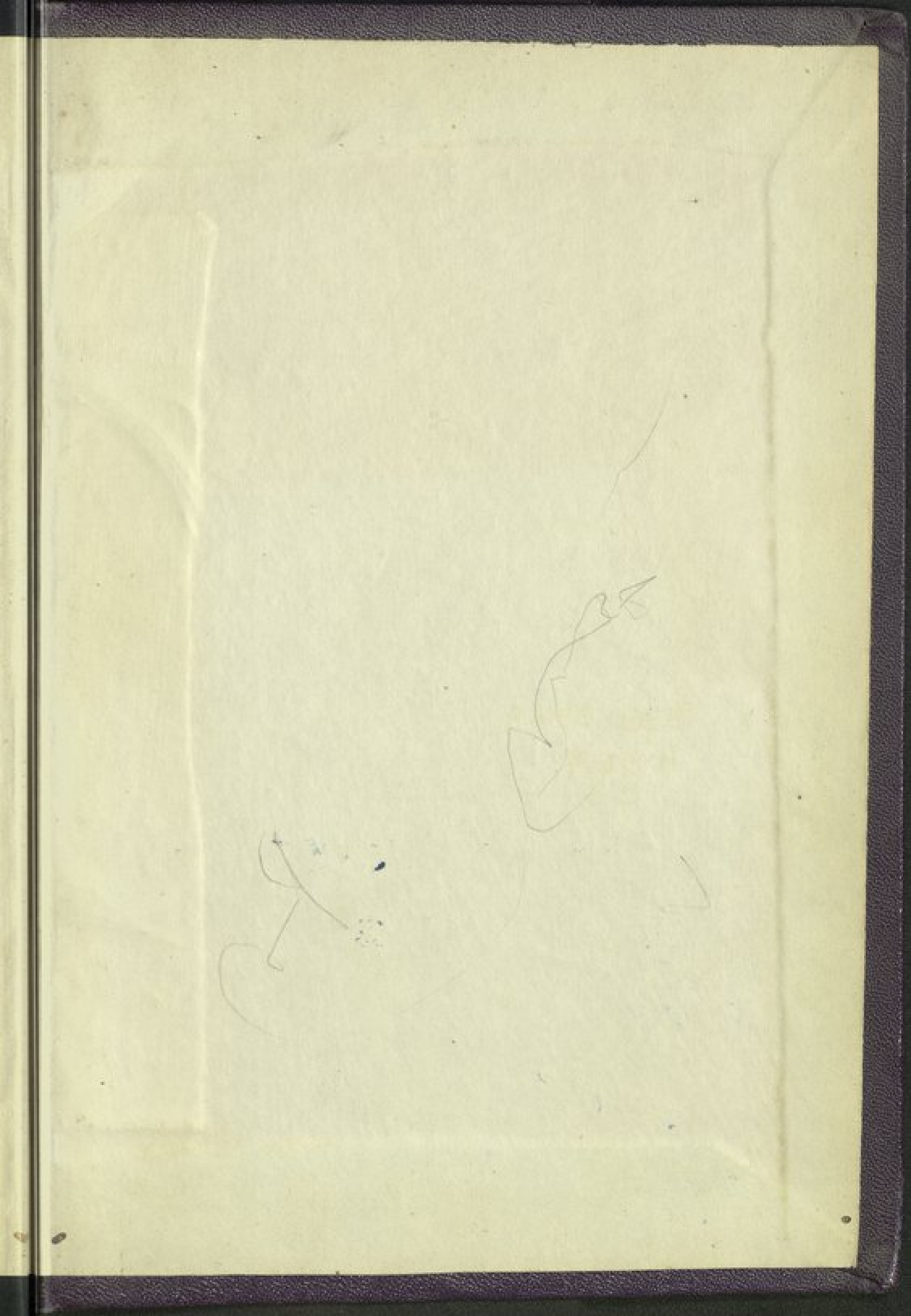
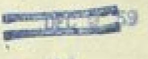
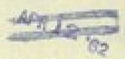
الكردي

وادي الاردن وامتيازاته ومشروعاته













دراسة اقتصادية انشائية

وادى الأردن

وامتيازاته ومشروعاته

تأليف

عبد الرحمن على الكردي

بكالوريوس فى العلوم الاقتصادية والسياسية
كلية التجارة : جامعة فؤاد الاول

مطبعة التوكل بمصر



الطبعة الأولى . . .   أيلول ١٩٤٩

الاهـــــــداء

إلى السياسى العربى العظيم الذى يجعل من تصنيع
هـذا الوادى رسالة لحياته ومحوراً لكفاحه لرفعة
الشعب العربى على جانبيه

محتويات الكتاب

القسم الاول

وادى الاردن . . . عرض عام

القسم الثانى

القسم الثالث

القسم الرابع


البحر المتوسط
فلسطين
النقب
الخليل
غزة
يافا
حيفا
نهر الاردن
البحر الميت
و. العربة
معان
شرق الاردن
العقبة
سوريا
الحجاز

خارطة رقم (٢)



خارطة رقم (٤) وادى الاردن

المنطقة البيضاء تمثل الاغوار التى تنخفض عن سطح البحر

تقـــــــديم

هذا الـكتاب . . .

الحلقة الثالثة فى سلسلة من ثلاثة كتب ، عزمت على نشرها . يعالج أولها تاريخ شرق الأردن الاجتماعى والسياسى منذ قرن ونصف ، ويعالج الثانى تطورها الاقتصادى فى القرن العشرين . شجعنى على المبادرة بنشره الأهمية التى أخذت تتجمع حول موضوعه ، فى محاولة لتوجيـه مصيره أخذت تتخذ طابعا عمليا منذ الشتاء الماضى .

وكان مما دفعنى إلى أن أفرد كتابا خاصا من هذه السلسلة لهذا الموضوع ، ما لمسته خلال مطالعتى لأعمال أكثر من واحـد من الـكتاب الغربيين المحدثين ، من أنهـم لا يفتأون يشيرون إلى أن المجال الحيوى والتقـدم الأكيد لبلادنا ، أمر مرهون بتنظيم استغلال وادى الأردن ، بما ينطوى عليه من ثروات زراعية ومعدنية .

وقد دفعنى انعدام المباحث العربية فيه ، فضلا عن استجابتى للفـكرة الحديثة التى شاعت فى التنظيم الاقتصادى المعاصر ومؤداها دراسة أحواض الأنهار كوحدات اقليمية متجانسة ، بقصد تقصى مختلف جوانبها ، توطئة لرسم مناهج تستغل بها أحسن استغلال ، بحيث تتكامل فيها مظاهر الحياة الاقتصادية المتعددة من استغلال زراعى وتوليد القوة الـكهربائية والتعدين إلى بناء صرح صناعى ، تحقيقا لأكبر وفر وتفاديا لأى خسارة محتملة ،

فى الجهد والمال ، دفعتنى هذه الأسباب مجتمعة إلى محاولة استيفاء الموضوع بحيث شملت دراسته مواضع لا تدخل فى صميم اختصاصى كنت أفضل أن أتركها لأهل الفن والاختصاص . . . وما أقل من يكتبون منهم فى هذه الأيام.

وفى سعيى باحثا وراء المراجع ، لم أظفر بمراجع عربية يعتمد عليها إلا فى القليل فاضطررت إلى الاعتماد على المراجع الأجنبية ، وبذلت غاية الجهد لأجعل لغة الكتاب ميسرة بحيث تقترب من مفهوم العدد الأكبر.

وأقصد من نشر الكتاب إلى أمرين :

أولها ، أن أزيد من اهتمام مواطنى بمنطقة عزيزة أعتبر ازدهارها حجر الأساس فى تقدم بلادهم ورخاءها ، وان أعرف القراء بوجه عام بمنطقة لها أهميتها فى الوطن العربى الكبير .

وثانيهما ، أن أبصّر بالخطر الذى تستهدف له هذه البقعة العزيزة ، فاكشف بعض المؤامرات الصامتة ذات الجـــذور المتأصلة ، التى تحاك لاغتيالها منذ وقت بعيد .

وفى تناولى الموضوع جريت مع الأسلوب العلمى الهادىء ، فوجهت همى لايضاح الحقائق دون عناية بتزويق البيان ، فقسمت الكتاب إلى أربعة أقسام ، جعلت الأول منها فى أربعة فصول ، وأفردت الأول للجغرافيا والثانى للجيولوجيا والمعادن والثالث للتاريخ والرابع لاقتصادياته المعاصرة . وجعلت القسم الثانى خاصا بعرض سريع للامتيازات وظروف منحها وبعض عواقبها ، وهنا تعمدت ألا أطيل ، إذ أن الموضوع يشغل حيزا متسعا من الكتاب الثانى فى هذه السلسلة . وفى القسم الثالث عنيت بالمشروعات وقسمته إلى فصلين أفردت الأول لما أسميته « مشروعات

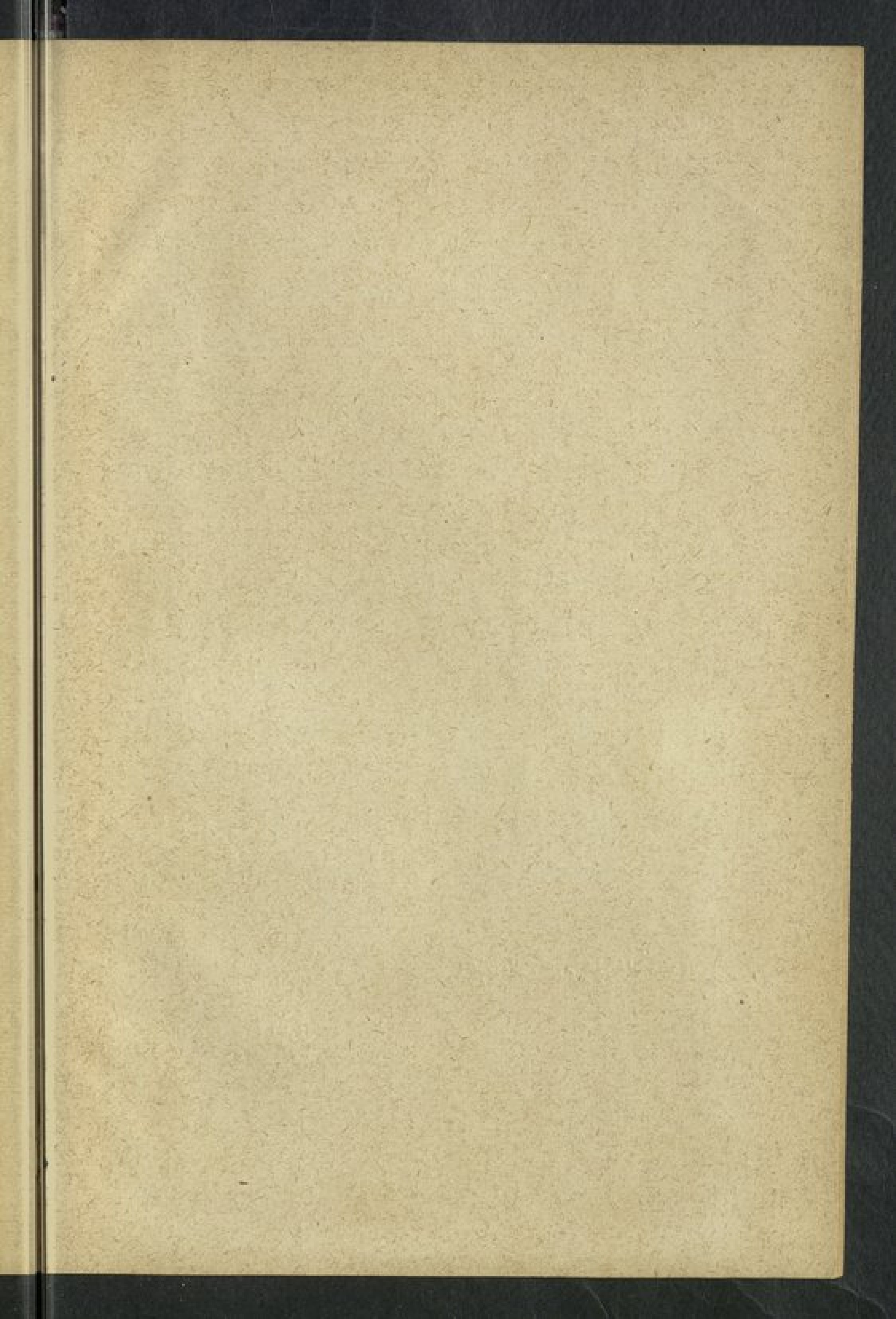
الوادى ، والثانى لما أسميته بـ « مشروعات المواصلات » . وأخيرا جئت بالقسم الرابع وأبديت فيه بعض ملاحظات، وما يلابسها من ضرورات، ليس القصد منها رسم مشروع خاص أو مفاضلة مشروع على مشروع ، وإنما هى مقترحات سقتها ، أرجو الأخذ بها عند التفكير فى انفاذ أى مشروع يوضع لاستغلال هذا الوادى ، بحيث يكفل لبلدنا الفلاح والازدهار ولشعبنا الرفاه المادى والارتقاء الاجتماعى

وفى ختام هذا التعريف أرى واجبا على أن أعبر عن جزيل شكرى وتقديرى لزوجتى الفاضلة على ما بذلته من جهد وما قدمته من معونة أثناء إعداد المراجع والأصول .

وان أشكر للصديق الأستاذ عبد السلام ابراهيم رئيس ديوان وزارة المالية الأردنية تشجيعه لى على المبادرة بنشر هذا الكتاب قبل سابقيه ، وكذلك للأستاذ أحمد عزيز الموظف بوزارة المواصلات الأردنية لتفضله بمساعدتى فى مراجعة بعض الأصول ، وأخيرا لصديق الدراسة الأستاذ محمود الدسوقى على الجهد الجم الذى بذله فى مراجعة معظم أصول الكتاب خلال الطبع وقبله ؟

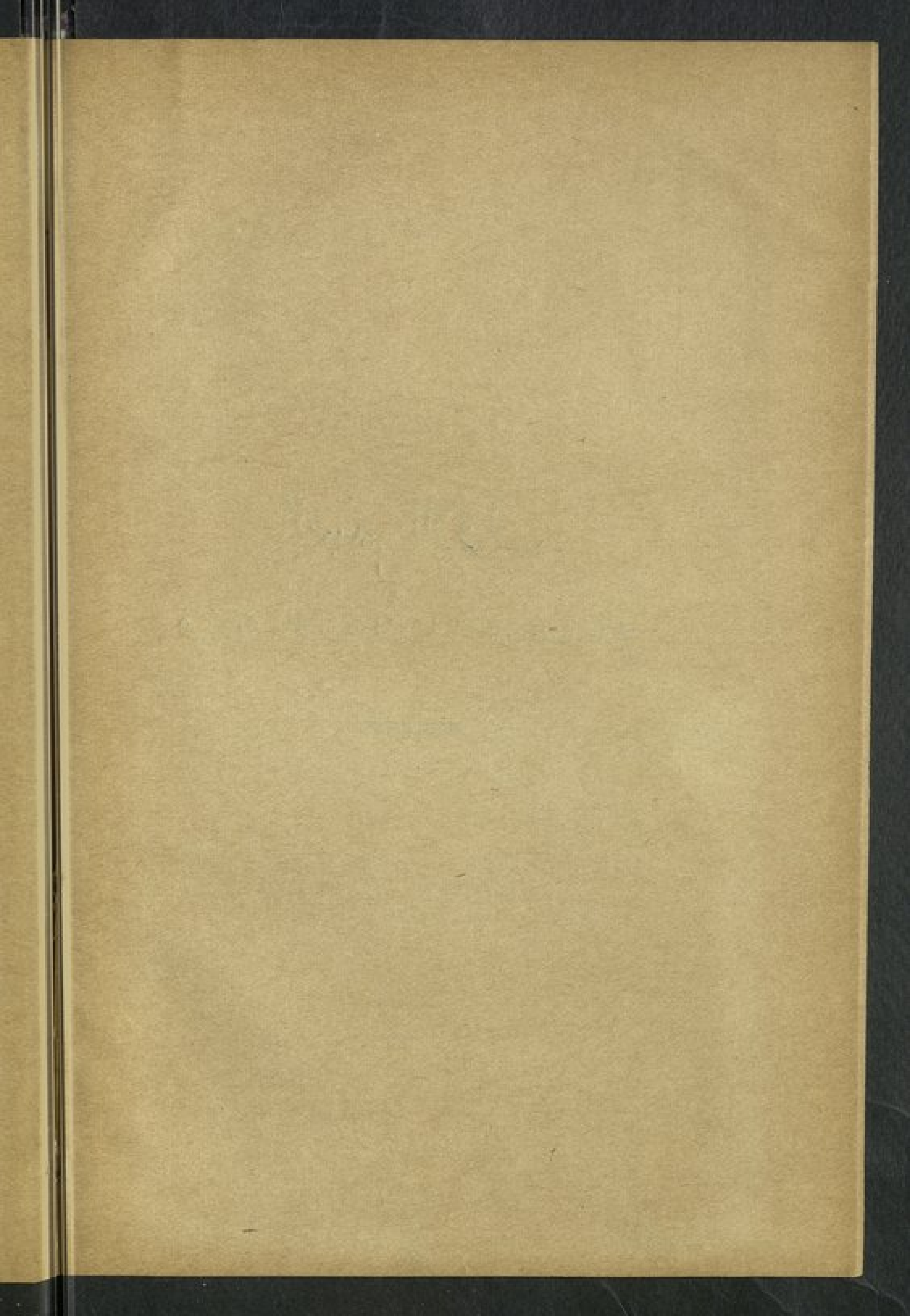
عبد الرحمن على السكرى

القاهرة فى ٢ أيلول سنة ١٩٤٩



القسم الاول

وادى الاردن : عرض عام



الفصل الاول

جغرافية وادى الاردن

مراجع الفصل الأول

بالعربية

١ – بلادنا فلسطين بقلم مصطفى مراد الدباغ

بالانجليزية

٢ – G. A. SMITH :
HISTORICAL GEOGRAPHY OF THE HOLY LAND.

٣ – M. G. IONIDES :
REPORT ON THE WATER RESOURCES OF TRANSJORDAN AND THEIR DEVELOPMENT.

٤ – ENCYCLOPEDIA BRITANICA



الفصل الأول

جغرافيـة وادى الأردن

مقدمة

يعتبر وادى الأردن ، على ضيق مساحته وقلة ما يجرى فى باطنه من الماء بالقياس إلى أنهار العالم الكبرى(١) ، من أهم الأودية فى جنوب غرب آسيا ، وكذلك تضعه مظاهره الجغرافية ، وتركيبه الجيولوجى ، وأهميته التاريخية ، وما ينطوى عليه حوضه من موارد معدنية وامكانيات زراعية وصناعية فى عداد الأنهر القليلة التى لا بد أن يصبح لها أكبر التأثير على مستقبل العالم . وتتضح أهميته فى الأيام الأخيرة فى كثرة الأدب الذى يكتب عنه وتنوع غاياته والأهمية التى يسبغها الكاتبون ، بحق ، عليه . ولعل أصدق تمثيل لهذه الناحية الاسم الذى وضعه الدكتور « نلسون جلويك » NELSON GLUECK عنه ، بعنوان

THE RIVER JORDAN ... EARTH'S MOST STORIED RIVER .

يتسع حوض هذا النهر ليشمل جوانب متسعة من أربعة بلاد عربية

---

(١) يبلغ متوسط المنصرف السنوى من نهر الكنغو ٣٥ ألف مترا مكعبا فى الثانية ومن النيل نحو ٣٠٠٠ مترا مكعبا فى الثانية بينما لا يتجاوز المنصرف من نهر الاردن ١٢٥ مترا مكعبا فى الثانية .

هى فلسطين ، والأردن الهاشمية ، ولبنان ، وسوريا . ويتصل حوضه شمالا بوادى العاصى الذى يكاد يخترق فى جريانه لبنان وسوريا من الجنوب للشمال ، ويوشك أن يلمس من ناحية الجنوب خليج العقبة المتصل بالبحر الأحمر وسلسلة الأخاديد الأفريقية (أنظر خارطة ١)

معالم

ينخفض سطح الأرض فى المنطقة التى تشمل معظم حدود فلسطين الشرقية من ناحية والحدود الغربية للاردن الهاشمية وسوريا من ناحية أخرى. وفى قاع هذا المنخفض يجرى نهر الاردن ، الذى يبلغ طوله من أقصى منابعه فى جبال جنوب لبنان مخترقا بحيرتى الحوله وطبريا إلى أن يصب فى البحر الميت ١٥٧ ميلا ، قاطعا فى جريانه منحدرا شديد الميل سحيق الانخفاض ، ليس له نظير على الأرض . ويبدو عظم هذا الانحدار فى ارتفاع جبل حرمون ، ومنه يصدر أحد منابع النهر إلى ١١٩٠١ قدما عن سطح البحر ، وفى انخفاض سطح البحر الميت إلى ١٢٨٦ قدما دون سطح البحر .

حوض الاردن

اختلف الكتاب فى تسميته ، فبعضهم يطلقون عليه اسم « حوض البحر الميت » بزعم أن الأخير هو المحبس الذى يفرغ الاردن ماءه فيه لا يتعداه ، وأنه المصب الذى تتجمع فيه أخيرا جميع الأنهار وروافدها الواردة إليه ، وان نهر الأردن ليس إلا جزءا من هذه الدورة المائية الكبرى ويكادون يقتصرون فى اطلاق هذه التسمية على الجانب الذى يبتدأ من دون بحيرة طبريا حتى البحر الميت وهو ما يعرف

اليوم « بنهر الشريعة » . ويبدو لنا أن الدافع وراء هذه التسمية هو الكشوف الجيولوجية التي كان البحر الميت ميدانا لها منذ بداية هذا القرن، فضلا عن بروز أهميته الاقتصادية وتنظيم استغلال موارده من لدن شركة ذات شهرة عالمية . غير أننا نفضل تسمية هذه الدورة المائية الشاملة لمنابع الاردن ومجراه وروافده والبحيرات التي يمر فيها والتي ينتهي إليها باسم « حوض وادي الاردن » . وذلك لأننا نرى أنه بدون وجود الأردن كمصدر مائي ما أمكن أن تكون للبحر الميت هذه الأهمية ، ومن الناحية الأخرى يشجعنا على اطلاق هذه التسمية كلمة الأردن نفسها ، ومعناها باللغة العبرية « الهابط أو المنحدر » وهي بهذا المعنى تتسع لجميع الموارد المائية التي تنصب وتنحدر في مجرى النهر وبحيراته من الشمال والشرق والجنوب والغرب .

وهكذا نطلق اسم « حوض الأردن » على تلك المساحات التي ينصرف ماؤها إلى مجراه . وهي تتحدد بخط يبتدأ من دون « حاصبيا » ، من أعمال جنوب لبنان ، متجها للجنوب وسط منطقه الجليل إلى الغرب من بحيرتي الحوله وطبريا في شمال فلسطين ، قاطعا مرج ابن عامر ومارا بالقدس والخليل ومتجها للجنوب الغربي حتى أطراف سيناء الشمالية الشرقية ؛ ثم يرتد للشمال الشرقي قاطعا وادي العربة شاملا وادي الحسا . ومن بعد ذلك يتجه للشمال في خط متعرج يكاد يحاذي سكة حديد الحجاز ويسير معها إلى مدينة عمان . ومن هناك يسير نحو الشرق فالشمال مارا بوسط جبل الدروز ، ثم إلى الشمال الغربي ليضم وادي اليرموك . وأخيرا يمر بوسط جبل حرمون عند الحدود السورية اللبنانية ليتصل بنقطة ابتدائه هناك .

وبذلك يشمل أحواض أنهر اليرموك والزرقاء وحوض البحر الميت وبحيرة طبريا والحوله وغيرها مما سيأتي ذكره . . وتبلغ مساحته الكلية ٤٠٦٥٠ كيلو مترا مربعا منها ٢١٩١٠ كيلو مترات مربعة تقع في مملكة الأردن الهاشمية وحدها(١) (أنظر خارطة ٢)

أقسام الوادى

درج كثيرون - بقصد دراسته - على تقسيمه تبعا للموقع الجغرافي إلى أقسام ثلاثة هي : الأردن الأعلى ويشمل منابعه حتى الحوله ، والأرن الأوسط ويشمل بحيرة طبريا وما دونها بقليل ، والأردن الأدنى ويشمل ماتبقى من مجرى النهر حتى البحر الميت . وسنأخذ اجمالا بهذا التقسيم ، ونضيف له قسما رابعا باسم البحر الميت وآخر خامسا باسم وادى العربة

منابع الاردن

نهر بانياس : في السفح الجنوبي لجبل حرمون وعند بداية التقاء حدود لبنان الشرقية بالحدود السورية توجد بقعة قديمة تعرف باسم «بانياس» نسبة الى «بان» إله المراعي عند الاغريق ومن كهف قديم فيها ينبع نهر « بانياس » - أبعد منابع الأردن في اتجاه الشرق - ويبلغ طوله أربعة أميال ونصف الميل

---

(١) مساحة حوض اليرموك ٧٢٥٠ كيلو مترا مربعا ، وعجلون ١٢٥٠ كيلومترا مربعا وحوض الزرقاء ٢٩٦٠ ، والسلط ٧٥٠ ومأدبا ٩٨٠ ، وحوض الواله ٢٠٥٠ ، وحوض الموجب ٤٤٦٠ ، وحوض الكرك ٤٨٠ ، وحوض الحسا ١٧٥٠ ، وحوض العربه ١١٣٠٠ وتلال الخليل ٢٤٥٠ والسامرة ١٩٦٠ وحوض الاردن الاعلى ٢٧٤٠ كيلومترا مربعا



خارطة رقم ١ (أنظر صفحة ٦)

خارطة رقم ٣ (أنظر صفحة ١٢)

نهر الدان : إلى الغرب بمسافة لا تتجاوز ٣ أميال، وفى وسط منطقة جبلية تقع عين الدان ، وبقربها مرتفع يعرف بهذا الاسم . ومن هنا ينبع نهر الدان وهو أغزر منابع الأردن ماء وأقواها اندفاعا وأقصرها طولا

نهر الحاصبانى : وإلى الغرب من الدان يجرى «الحاصبانى» ، وهو أطول منابع الاردن ، وينبع من جنوب حاصبيا . ويسير مسافة ٢٤ ميلا قبل أن يلتقى بمصادر الاردن الأخرى . وهو أكثرها موازاة لخط سير الاردن مما دعا البعض إلى اعتبار منبعه بداية الاردن نفسه .

وقبل أن يلتقى الحاصبانى بالنهرين السابقين بمسافة ثلاثة أرباع الميل يتصل به نهر « بريغيت » من يمينه قادما من سهول « مرجعيون » اللبنانية.

وهكذا يكون للنهر أربعة منابع ، تلتقى مكونة مجراه الرئيسى الذى يأخذ فى السير بعد ذلك فى أراضى الحوله وهى أراض منخفضة ، كثيرة الرطوبة، مرتفعة الحرارة ، تكثر فيها المستنقعات بسبب الصخور البازلتيه التى تكسو التربة فتحول دون سهوله انصراف المياه . وإلى الجنوب من هذه السهول يتجمع الماء مكونا بحيرة الحوله التى يصلها النهر بعد سبعة أميال من بداية مجراه.وهى بحيرة صغيرة المساحة مثلثة الشكل لا يتجاوز طولها ثلاثة أميال ، وعرضها ميلان فى طرفها الأعلى ، ثم يضيق فى طرفها الأدنى ، ويتراوح عمقها بين ٩ - ١٦ قدما . وتحدق الجبال بها من الشرق والغرب بالغة ٣٠٠٠ قدما فى الارتفاع .

الاردن الاوسط

بعد أن يترك الأردن بحيرة الحوله ، يسير بتثاقل واعتـــدال مسافة لا تتجاوز الميلين فى أرض مستوية . وبعد ذلك يتدحرج النهر فى خوانق

بازلتيه سوداء مسافة سبعة أميال . ثم لا يلبث أن يستوى مجراه وأن يسير في دلتا صغيرة « كونها لنفسه » طولها ميل واحد . يدخل بعدها في بحيرة طبريا . والمسافة بين البحيرتين طولها ١٠ أميال ، تكاد تكون شلالا مستمرا ، ينخفض فيها مستوى مجرى النهر من ٢٣٠ قدما فوق سطح البحر عند بحيرة الحوله إلى ٦٩٦ قدما تحت سطح البحر عند بحيرة طبريا ، وتقع هذه البحيرة وسط مرتفعات بازلتيه تكاد تلامس شاطئها من الشرق ، ومرتفعات حطين وترتفع إلى ٢٠٠٠ قدما من الغرب ، ويكاد لا يوجد ساحل متسع حول هذه البحيرة ما عدا منطقة « الغوير » الواقعة إلى شمالها الغربي . وطول البحيرة ١٣ ميلا ، وعرضها في أوسع مكان ٨ أميال ، وماؤها عذب يصل عمقه في بعض الأمكنة إلى ١٥٠ قدما . ولا يقتصر ماؤها على ما تتلقاه من الاردن ، إنما تمدها أيضا ينابيع باطنية قوية وروافد تأتيها من الغرب ، حيث ينصب فيها واديا « عمود » من الشمال الغربي « وربضيه » من الغرب ويتجاوز ما يحمله إليها الأول سنويا ٢٠ مليون مترا مكعبا ، كما يتجاوز ما يحمله الثاني ١٥ مليون مترا مكعبا .

الاردن الأدنى

وهو الجزء من النهر الذي يقع بين بحيرة طبريا « والبحر الميت » . وهو أهم أجزاء الوادي وأغزرها ماء - بسبب ما يتلقاه من روافد الأنهار عن يمينه وعن شماله - كبير الانحدار ، كثير الالتواء والتعاريج ، فمن مستوى ٦٩٦ قدما دون سطح البحر عند خروجه من بحيرة طبريا يصل إلى « البحر الميت » في مستوى ١٢٨٦ قدما تحت سطح البحر ، كما أن المسافة التي تقع بين « طبريا » و « البحر الميت » وتبلغ ٦٥ ميلا يقطعها النهر في ٢٠٠ ميل .

وإلى الشرق من الوادى تقع هضبة شرق الاردن التى يتراوح ارتفاعها بين ١٨٠٠ - ٢٤٠٠ قدما . ومنها يتلقى النهر مياه عدد كبير من الأنهار أهمها « البرموك » « والزرقاء » وإلى الغرب تقع هضبة أقل ارتفاعا فى فلسطين تشمل تلال السامرة وسهول مرج ابن عامر . ويتراوح الارتفاع هنا بين ٢٠٠ - ١٨٠٠ قدما.

يخرج الأردن من بحيرة طبريا ويسير مسافة أربعة أميال وسط أراض خصبة منحدرة يلتقى بعدها بنهر البرموك الذى يأخذ مياهه من حوران(١) فى شمال شرق الاردن وجنوبى سورية ويكون عند اتصاله بالوادى سهلا خصبا . ويبلغ عرض كل منهما فى مكان الالتقاء ٣٠ قدما . ويكاد يتساوى ما يحملانه من ماء فى العام فبينما يقدر (٢) ما يحمله البرموك بـ ٤٨٠ مليون مترا مكعبا يقدر ما يحمله الأردن عند خروجه من بحيرة طبريا بـ ٥٤٠ مليون مترا مكعبا (هناك تقدير أحدث يعطى البرموك ٥١٠ مليون مترا مكعبا ويعطى الأردن ٥١١ مليون مترا مكعبا) وهنا تقوم محطة لتوليد القوة الكهربائية تمتلكها « شركة الكهرباء الفلسطينية » .

يسير النهر بعدها عدة أميال تتسع معها أرض الوادى من الشرق لتتلقى مياه « نهر العرب » من الهضبة الأردنية ، ويقدر تصريفه السنوى بـ ١٥ مليون مترا مكعبا ، ويظل الوادى على نفس السعة من الجانب الشرقى حيث تصب فيه بعد ذلك مجموعة من الأودية والأنهار أهمها « وادى زقلاب » وتصريفه السنوى ٨ مليون مترا مكعبا ، « وادى جرم » وتصريفه السنوى ١١ مليونا

---

(١) مساحة حوض البرموك ٧٢٥٠ كيلومترا مربعا معظمها داخل الاراضى السورية ويتلقى مياهه من وادى الحرير والرقاد فى سورية ووادى شلال فى الاراضى الاردنية

(٢) تقدير م . ج . ايونيدس

«ووادي اليابس» وتصريفه السنوي ٥ ملايين، «ووادي كفرنجه» وتصريفه السنوي ٦ ملايين، «ووادي راجب» وتصريفه السنوي ٥ ملايين. ويتسع الوادي عند مصب هذه الروافد حيث ينشأ كل منها دلتا صغيرة.

وفي وسط المسافة بين «طبريا» و «المبت» يتسع الوادي من الجانب الشرقي ويصل عرضه على الجانبين إلى ١٠ أميال حيث يصب فيه نهر الزرقاء الذي يحمل ماءه من وسط الهضبة الأردنيـة ويشكل لنفسه دلتا متسعة بالقياس إلى الأودية الأخرى. ويقدر المنصرف منه سنويا بـ ٤٥ مليون مترا مكعبا، وهنا يأخذ الوادي (الجانب الشرقي منه) في الانكماش قليلا ثم يستمر على سعته في مسافة طولها ١٦ ميلا خالية من الأنهار ولا يكاد يوجد فيها آبار. وبعد ذلك يصل الوادي لاقصى اتساع له في جانبيه حيث يصب فيه - من الجانب الشرقي - وادي شعيب (١) ١٠ مليون مترا مكعبا ووادي الكفرين والرامه(٢) ١٨ مليون مترا مكعبا في منطقة كانت في أحد الأيام من أكثر بقاع الشرق الأدنى خصبا ورخاء.

أما من الجانب الغربي فيتلقى النهر بعد عشرة أميال من بحـيرة طبريا ماء «وادي البيره» الذي ينبع من جبال جنوب الجليل. وبعد سير ١٣ ميلا يتسع الوادي - حيث يصل عرضه إلى ٧ أميال على الجانبين - ليتلقى مياه نهر «جالود» الجاري في «بيسان» فضلا عن ماء «عين الحارض» التي تنبع قرب «بيسان» نفسها (وتقدر مياه بيسان هذه بـ ١٢٣ مليون مترا مكعبا لا يذهب إلى الاردن منهـا غير القليل). ومن هنا يتصل الوادي

---

(١) يعرف أيضا باسم وادي «نمرين»

(٢) يعرف أيضا باسم وادي «حسبان»

بمرج ابن عامر، غير أنه لايلبث أن ينكمش بصورة محسوسة بارزة حيث تتقدم تلال السامرة نحو الشرق وتكاد تصل إلى ماء النهر نفسه مناظرة انكماشا مماثلا فى عرض الوادى فى الجانب الشرقى .

هنا ينفسح الوادى ليصب فيه «نهر الفارعه» الذى يجمع ماءه من تلال السامره (يقدر ما يحمله فى العام بين ٤٥ - ٦٢ مليون مترا مكعبا) بالغا عرضه ٨ أميال، ثم يظل يتسع حتى يشمل سهول «أريحا» وترويها مياه «وادى الكلت» و«وادى العوجا» و«عيون أريحا»(١) (ويقدر ما تحمله هذه جميعا بنحو ٥٠ مليون مترا مكعبا فى العام) ويبلغ عرض الوادى هنا الى أقصاه، ١٤ ميلا على الجانبين ، حتى يصل إلى أطراف البحر الميت حيث يضيق الوادى ويوشك أن يلامس ساحل هذا البحر .

والأنهار فى الجانب الشرقى أكثر عددا وأغزر ماء وأعظم أهمية ، تصل منابع بعضها كالزرقاء واليرموك إلى أطراف الصحراء . وتقسم هذه الأنهار الهضبة ، شرقى الوادى ، إلى أجزاء مستطيلة تكاد تكون مستقلة، الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى تاريخها كما يتبين لنا فيما بعد (أنظر خارطة ٢)

الغور والزور : وفى هذا الجزء من الوادى تنقسم الأرض إلى ثلاثة أقسام طولية فى اتجاه شمالى جنوبى . فهناك :

أولا - منطقة الزور : وتلاصق ماء النهر وهى دغل كثيف الأشجار والنباتات التى كثيرا ما تطغى على ماء النهر وتحجبه عن النظر ، ويتراوح

---

(١) عيون النعيمه والديوك والسلطان

عرضها بين ١٢٠٠ قدم الى ميل واحد ، بينما يتراوح عرض النهر (ماؤه) بين ٦٠ - ١٨٠ قدما . وفيها يتسع ماء النهر عندما يفيض وقت الشتاء بين أيلول ومايس من العام.

ثانيا - منطقة الغور : وترتفع عن الأولى بمقدار ١٥٠ قدما ، تفصلهما وتميزهما عن بعضهما تلال من الطفل الرمادي يكاد لا ينبت عليها شيء ، وهي التي أطلقنا عليها اسم الوادي حتى الآن ، لأنها في الواقع قاعدة وادي الأردن كله. ويتراوح عرضها على الجانبين من ٤ - ١٤ ميلا . ولكل جانب من الغور اسم خاص لا يقتصر على الأردن الأدنى وإنما يشمل أحيانا المناطق المجاورة للبحر الميت . فهناك من الأغوار في الجانب الشرقي : -

الاسم	المكان
صخور الغور (معاذ)	جنوب نهر العرب
غور الفارا	حول وادي اليابس
غور الوهادنه	حول وادي كفرنجه
غور البلاونه	حول وادي راجب
غور أبو عبيدة	شمال نهر الزرقاء
غور الكبد	جنوب نهر الزرقاء
غور نمرين	حول وادي شعيب
غور الكفرين	حول وادي الكفرين
غور الرامه	حول وادي الرامه
غور حديثه	حول وادي ابن حماد عند مصبه في الميت
غور المزرعه	حول وادي الكرك عند مصبه في الميت
غور الصافي	جنوب البحر الميت
غور فيفا	جنوب غور الصافي ويمر به وادي فيفا

وهناك أغوار بأسماء أخرى فى الجانب الغربى . غير أنها ليست شائعة الاستعمال كأغوار الجانب الشرقى . فهناك غور يعرف بغور نابلس إلى الشمال من نهر الفارعه ، وهناك غور آخر يعرف باسم غور طوباس حول وادى المالح الذى يقع إلى الشمال من نهر الفارعه .

ثالثا ـ منطقة المرتفعات : وتصعد إلى هضبة شرقى الاردن من الشرق وإلى هضبة فلسطين من ناحية الغرب وتقطعها الوديان والأنهار فى طريقها إلى النهر (أنظر خاوطة ٤)

البحر الميت

بحيرة داخلية واسعة، تقع فى هوة عميقة ، تلامسها من الشرق جبال يتراوح ارتفاعها بين ١٨٠٠ ـ ٤٥٠٠ قدما، ومن الغرب مرتفعات لا يقل علوها عن ١٨٠٠ قدما ، ومن الجنوب ترتفع الأرض بالتدرج إلى أن تصل علو ١٢٠٠ قدما على بعد ٧٠ ميلا من البحر الميت حيث تأخذ الأرض بعدها فى الميل إلى الجنوب نحو العقبة .

ويستمد « الميت » ماءه من « الاردن » الذى يصب فيه يوميا ٦ ملايين طن ، فضلا عن الروافد الأخرى التى يتلقاها من الشرق والجنوب والغرب ولا يتجاوز طوله ٤٧ ميلا ، ويبلغ عرضه فى أوسع مكان ١٠ أميال ومساحته الكلية ٣٦٠ ميلا مربعا . وهو مستطيل الشكل تقريبا لولا نتوء شبه الجزيرة ذات التربة الملحية التى تمتد من الثلث الأسفل لساحله الشرقى وتكاد تتصل بشاطئه الغربى . وعمقه فى أعمق نقطة ١٣١٠ قدما ويتراوح عمقه فى جنوب اللسان بين ٣ ـ ٣٠ قدما .

ويفقد « الميت » كثيرا من مائه بالبخر مما يؤدى إلى عدم استقرار

مستواه . فبينما وصل مستواه عام ١٨٦٥ إلى انخفاض ٣٩٣,٨ مترا دون سطح البحر، بلغ عام ١٩١٢ إلى ٣٩١ مترا، وعام ١٩١٥ إلى ٣٨٧ مترا . غير أنه لوحظ أنه بالرغم من فقدانه ١٣ ½ مليمترا من مستواه يوميا بفعل البخر فان مستواه مضطرد فى الارتفاع(١) ويرد البعض هذه الظاهرة إلى الماء الذى يتلقاه من الأنهار التى تصب فيه من ناحية، وإلى الدلتا التى يدأب الاردن على توسيعها فى شمال هذا البحر، فضلا عن الارتفاع التدريجى الذى يلم بقاع البحر نفسه نتيجة لتكون طبقات رسوبية جديدة .

وإلى الشرق من « الميت » تقع جبال مؤاب فى شرق الاردن ومنها تصدر عدة أنهار تصب فيه، أهمها « زرقاء ماعين » وتحمل إليه فى العام ١٨ مليون مترا مكعبا، وماؤها معدنى مشبع بالاملاح، و « الموجب » ويحمل إليه ١٨ مليونا أخرى، و « وادى ابن حماد » ويحمل ٩ ملايين مترا مكعبا، وأخيرا وادى الحسا وهو أكثرها أهمية وأغزرها ماء، يحمل إليه فى العام ٢٣ مليون مترا مكعبا .

وإلى الغرب منه لا تكاد توجد روافد مهمة غير « عين الجدى » « ووادى نار » ويبلغ مجموع ما يصل الميت من الماء فى شاطئه الغربى ١٨,٥ مليون مترا مكعبا .

وفى الطرف الجنوبى الغربى من « الميت » يقع جبل « أسدوم » أو « جبل الملح » وهو ذو أهمية جيولوجية نبحثها بالاضافة لمظاهر الميت الجيولوجية فى الفصل التالى .

---

(١) منذ زيارة « كتشنر » عام ١٨٨٣ - ١٨٨٤ ارتفع حوالى ٢٠ قدما ومنذ عام ١٩٠٠ للآن لم يرتفع أكثر من ٦ - ٨ أقدام

وادى العربة

يمتد حوض الاردن جنوب الميت مسافة ٧٠ ميلا ترتفع الأرض فيها بالتدريج ، ويتجه ميل الأرض بعدها صوب الجنوب نحو العقبة نصف هذه المسافة . ويجرى فيها وادى العربه نحو البحر الميت من الجنوب « ووادى فقره » من الجنوب الغربى . ولهذه الوديان أودية ثانوية أخرى تغذيها من جبال فلسطين ومن النقب ومن أطراف سيناء الشمالية ومن جبال الشراة الأردنية .

الطقس والمطر

الطقس السائد فى قلب الوادى « دون الاستوائى » ، أما على الجبال حوله فيسود جو البحر المتوسط ويتراوح فيه موسما المطر والجفاف ، الأول يبدأ من « تشرين الأول » حتى « مايس » ويغزر على التلال شرق وغرب وشمال الوادى شتاء وأكثره ما يكون فى الشمال ثم الشرق فالغرب . وعلى أطراف الوادى يبرد الشتاء حتى قد يتكون الجليد وتهطل الثلوج ، بينما يظل دافئا فى قلب الوادى .

والمطر لا يتجاوز ٥ بوصات سنويا كلما اقتربنا من منطقة « الميت » لكنه يرتفع إلى ١٥ بوصة دون بحيرة طبريا وإلى ٣٠ بوصة دون بحيرة الحوله .

ويبلغ متوسط الحرارة أدنى الوادى فى الشتاء ٤٠ ف° وتنزل أحيانا إلى ٣٢ ف° وفى الصيف ترتفع الى ١١٠ ف° .

وقد أوحى تقلب المنـــاخ فى الوادى والمناطق المجاورة له إلى ELLSWORTH HUNTINGTON بإنشاء نظرية مؤداها أن تقدم البلاد وازدهار الحضارة فى الوادى والمناطق المجاورة له وتأخرها فى كثير من العهود ترجع إلى زيادة المطر أيام الازدهار وإلى تغير المناخ وقلة المطر أزمان التأخر فى شبه دورة منتظمة .

غير أن هذا الرأى لم يلق تأييدا كافيا . والاجماع(١) الآن أنه فى غضون العصور التاريخية على الأقل لم يطرأ على المناخ والأمطار أى تغيير .

هذا التكوين الفريد والمناخ الخاص دفعا الجيولوجيين إلى الاهتمام به فأكثروا من دراسته وتعمقوا فى استكناه أسراره وتساءلوا عن طريقة تكوينه وكم مضى عليه ؟ وما تفسير هـذا التراوح الكبير فى انخفاضه ، وما مصدر ملوحة البحر الميت ؟ وكيف تكونت أملاحه ؟ وما مقدار المعادن فيه ؟

هذا وغيره سنجيب عليه فى الفصل التالى بعنوان :

جيولوجية الوادى وتربته ومعادنه

---

(١) « أبو نيدس » فى تقريره ولورد ملك ق « فلسطين أرض الميعاد »

الفصل الثانى

جيولوجية الوادى وتربته ومعادنه

مراجع الفصل الثانى

بالعربية

١ — الجيولوجيا حسن صادق باشا

٢ — جغرافية المعادن والقوى محمد سيد نصر

بالانجليزية

٣ -- FERASIDES AND BULMAN :
GEOLOGY IN THE SERVICE OF MAN

٤ -- B. JAFFE :
MEN OF SCIENCE IN AMERICA

٥ -- G. S. BLAKE :
REPORT ONTHE GEOLOGY, SOILS AND MINERALS OF TRANSJORDAN .

٦ -- A. F. DAY :
GEOLOGY OF LEBANON AND OF SYRIA AND PALESTINE AND NEIGHBOURING COUNTRIES

٧ -- B. WILLIS :
"DEAD SEA STRUCTURE" BULLETIN OF THE GEOLOGICAL SOCEITY OF AMERICA VOI. 49, ARRIL 1938

٨ -- A. REIFENBERG
THE SOILS OF PALESTINE

٩ -- G. S. BLAKE :
THE MINERAL RESOURCES OF PALESTINE AND TRANSJORDAN

الفصل الثانى

جيولوجية الوادى وتربته ومعادنه

مقدمة

لسهولة الإحاطة بجيولوجية هذا الوادى ، لا بد لنا من إلمامة عامة بعلم الجيولوجيا وطريقته . فالجيولوجيون يقسمون تاريخ القشرة الأرضية إلى أربعة أزمنة ERAS هى زمن الحياة القديمة أو الـ PALOEOZOIC وزمن الحياة الوسطى MESOZOIC والزمن الثالث والرابع ، وقبل هذه الأزمنة يميزون زمنا يعرف بالزمن الابتدائى أو قبل الكمبرى ، وكل من هذه الأزمنة يقسمونه إلى عصور ، فعصور الزمن الأول ستة منها : الكمبرى ، والفحمى . وعصور الزمن الثانى ثلاثة هى : الترياسى ، والجوراسى ، والطباشيرى. وعصور الزمن الثالث أربعة هى : الايوسين، والاوليجوسين والميوسين ، والبليوسين . وعصور الزمن الرابع هى : البليستوسين أو الجليدى والأخير أو ما بعد الجليد . ولكل من هذه العصور تقسيمات تفصيلية أخرى . فالعصر الطباشيرى ينقسم إلى عهود منها السينونى ، والسينومانى ، والطباشيرى الأعلى ، والطباشيرى الأدنى وغير ذلك ..

واستعان الجيولوجيون على تصنيف هذه العصور والأزمنة والعهود بطبيعة الصخور السائدة ، والحفريات الموجودة بها ، وبعلم الحيوان

الجيولوجى PALEONTOLOGY . وبكل زمن وعصر يخصون صفات معينة من حيث شكل الحياة السائد، ومن حيث تركيب القشرة الأرضية وتوزيع الماء واليابسة، ومن حيث طراز المناخ، غير أنهم اختلفوا فى تقدير أطوال هذه الأزمنة والعصور، فالبعض كالأستاذ «جيمس دوايت دانا» الذى وضع تاريخا جيولوجيا للعالم فى أواخر القرن الماضى، ولا يزال لتقديره أهميته، يعطى لزمن الحياة القديمة وما قبله ٢٥٠٠ مليون عام، وللزمن الثانى يعطى ٥٠٠ مليون عام، وللثالث ١٥٠ مليون عام، وللرابع ٦٠ مليون عام، ولا يرجع عصر الجليد فى رأيه إلى أكثر من ٤٠ ألف عام. لكن جانبا من العلماء يفضلون عدم الركون إلى تقديرات رقمية قد يظهر - فى كل يوم - من الكشوف ما يبطل صحتها، ولذلك يفضلون الأخذ بالنسب فيعطون ٥٥ «لقبل الكمبرى» و ٣٠ لزمن الحياة القديمة و ١١ لزمن الحياة الوسطى و ٤ للزمن الثالث وهكذا. ويقدرون مجموع هذه الأزمنة بـ ٥٠٠ مليون عام.

ومع أننا نرى أن الخلاف حول هذه التقديرات - شأنه شأن كل اختلاف جيولوجى تقريبا - يرجع إلى اختلاف فى الأساليب والطرق المتبعة للوصول إليها، فانا نجد أنه قد يسهل على القارىء ويفيده أن ننقل إليه الجدول التالى من كتاب «الجيولوجيا فى خدمة الانسان» مبينا فيه أعمار الأزمنة والعصور الجيولوجية المختلفة :

أزمنة ERAS	عصور PERIODS	أعمارها بملايين السنين	ملاحظات
الرباعى	الحديث		
	البليستوسين	١	
الثلاثى	البليوسين	١٩	الأحدث
	الميوسين		
	الاوليجوسين	٣٥	
	الايوسين		
الميزوزويك	الطباشيرى	٥٠	. . . .
	الجوراسى	٤٠	
	الترياسى	٣٠	
الباليوزويك	برمى	٣٠	
	فحمى	٨٠	
	ديفونى	٥٠	الأقدم
	سيلورى	٤٠	
	أردوفيشى	٥٠	
	كمبرى	٦٠	
قبل الكمبرى		١٥٠٠	

فى العصرين الجوراسى والطباشيرى من عصور الزمن الثانى كان البحر المتوسط أوسع منه الآن بكثير ، إذ كان يغطى جانبا من جنوب أوربا وجانبا كبيرا من شمال أفريقيا وأجزاء متناثرة من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن وشمال بلاد العرب ، ثم يسير نحو الشرق مغطيا منطقة متسعة من وسط قارة آسيا إلى أن يصل إلى المحيط الهادى ، وكان ضحلا واسعا امتد فى أواخر العهد السينونى إلى أماكن ما كان يصلها من قبل. أما اسم هذا البحر القديم فهو بحر « تيتس » TETHYS SEA وهو مأخوذ من اسم إحدى حوريات الماء عند الأغريق ، أطلقه عليه الجيولوجى النمسوى الشهير « ادوارد سويس » EDUARD SUESS . وفى هذا الوقت كانت القارات تنقسم إلى مجموعتين ، المجموعة الشمالية وتضم وسط وشمال أوربا وآسيا ومعظم أمريكا الشمالية ، والمجموعة الجنوبية وكانت تضم جنوب الهند وجانبا من بلاد العرب ، ومدغشقر ، ووسط أفريقيا وجنوبها والجزء الأكبر من أمريكا الجنوبية . وكان قاع ذلك البحر يتلق رواسب طين وطفل ورمل وحصباء تجرفها الأمطار والأنهار من الكتلتين القاريتين المجاورتين فى الجنوب والشمال . وقد وصل علو هذه الرواسب فى بعض الأمكنة من ٥٠٠ - ١٠٠٠ قدم .

وفى بداية الزمن الثالث ، وهو زمن قصير نسبيا ، ألمت بسطح الأرض تقلبات عنيفة كانت سببا فى تكوين أبرز المظاهر الجغرافية الحالية مثل جبال الألب والهملايا . وفى هذا الوقت ارتفع قاع البحر المتوسط القديم ارتفاعا كبيرا مكونا كثيرا من الأراضى الواقعة شرق المتوسط

اليوم ، وأنشأ طية جبلية كانت تصعد من البحر وترتفع لتملأ هوة وادى الأردن قبل أن يتكون منخفضه بعد ، ثم تنحدر بالتدريج لتتلاشى فى الهضبة الصحراوية المكونة للصحراء العربية فى الشام والعراق ، وقد تمت هذه الطية بفعل قوى أفقية كانت تعمل فى القشرة الأرضية ، ففى الطبقات القليلة الكثافة كانت تنشىء سهولا أو هضابا أو طيات سطحية ، أما فى الطبقات الأكثر كثافة فكانت تحدث تقعرات واسعة ، وكثيرا ما كانت هذه التقعرات تتفسخ متوازية ومتعامدة مع اتجاه الانطواء ، وكان يحدث أن يتباعد طرفا التفسخ عن بعضهما ولا يعودان يكملان بعضهما بعضا فيكونان فالقا FAULT .

ولم تكن هذه الطيه ملساء مستوية فكونت تجعدات لبنان وفلسطين الغربية وسببت فيما بعد الشقين اللذين نجم منهما منخفض الأردن الميت، وكونت كذلك بحيرة داخلية كانت تشمل مساحة متسعة من حوض الزرقاء ، وقد تبين هذا من ملاحظة خط ساحلى قديم فى الجزء الأعلى من اليرموك يرتفع اليوم ١٠٠٠ قدم عن سطح البحر ومنه عرف أن هذه المنطقة كانت تملأها بحيرة حتى عصر البليوسين .

وكانت مياه هذه المنطقة جميعها ، تنصرف فى البحر المتوسط بواسطة أنهار قديمة منها اليرموك الذى كان يجرى حتى بداية عصر الجليد فى منطقة بيسان ومرج ابن عامر ليصل إلى البحر فى مكان قرب حيفا . وكان اليرموك القديم يفصل بين منطقتين مناخيتين شمالية وجنوبية سادت هذه المنطقة منذ البليوسين ، فى المنطقة الشمالية كانت مياه الأنهار كافية لتصل إلى

شاطىء البحر فى الغرب ، أما فى المنطقة الجنوبية فلم تكن الأنهار تتلق المطر الكافى لتتجاوز الطيه الجبلية ، التى تكونت فى أوائل الزمن الثالث.

ولم يستقر شكل هذه الطيه مدة طويلة ، إذ حدثت ظاهرة جيولوجية مدهشة قبل عصر الجليد أدت إلى تكوين منخفض وادى الأردن والبحر الميت. وهنا اختلف الرأى فيما يتصل بالطريقة التى تكون فيها الوادى حتى وصل إلى حالته الحاضرة ، وفيما يتعلق بالتاريخ الذى تحققت فيه مراحل تكوينه .

فالنظريات التى حاولت تفسير تكوينه يمكن إرجاعها إلى ثلاث أساسية .

النظرية الأولى : نظرية وجنر WEGNER THEORY وهى نظرية كانت معروفة منذ أواسط القرن ١٩ ، نادى بها منذ عام ١٩١٠ الدكتور ف . ب . تايلور من جامعة ييل ، واشتهرت أخيرا باسم الأستاذ الفرد وجنر. ومؤداها أن المحيط الأطلسى لا يعدو أن يكون نشأ من انسحاب أمريكا الشمالية والجنوبية وتراجعهما للوراء ، وحسب هذه النظرية لا يعدو أن يكون الفالق الذى انشأ وادى الأردن غير انسحاب للأرض الفلسطينية للوراء ، بعيدا عن الكتلة الشرقية المرتبطة بكتلة بلاد العرب . ولكن ما يعيب هذه النظرية ، هو عجزها عن تفسير الارتفاع المضطرد الذى ألم بالكتلة الرئيسية الشرقية ، وكذلك بالأرض المنسحبة فى فلسطين .

أما النظرية الثانية : فهي نظرية الانخساف RIFT وقد أبانها بوضوح سويس عام ١٨٩٢ وأيدها BIACKENHORN عام ١٨٩٦ وبيكارفى ١٩٣١ و ١٩٣٢ وخلاصتها إنه بسلسلة من الانخسافات المتتابعة نزلت كتلة من القشرة الأرضية، مكونة أعظم انخفاض على وجه الأرض ، رافعة فى الوقت نفسه مستوى التلال المكونة لجدارى الوادى من ناحيتى الشرق والغرب ، وإن اختلف مقدار الارتفاع فى كل منهما .

والنظرية الثالثة : هى نظرية الضغط وتستند على الميل المتزايد المشاهد فى الطبقات الأرضية الظاهرة على جانبى جدارى الوادى ،وترى أن ابتعاد هذين الجدارين عن بعضهما يتناسب مع الحركات العنيفة المنسوبة لعصر الميوسين ، وأن تهدم الأساس الطباشيرى الذى كانت تقوم عليه طبقات الحجر الرملى الناعم وسع نتيجة لذلك ، قاع الوادى بأن أزاح جداريه الصخريين للخلف مسافة عدة كيلو مترات .

وقد لقيت هذه النظرية اهتماما متزايدا فلم يلبث أن وسعها ونماها F. E. WELLINGS جيولوجى شركة بترول العراق وأذاعها عام ١٩٣٦ ، ثم شرحها مؤيدا B. WILLIS الأستاذ فى جامعة ستانفورد الأمريكية عام ١٩٣٨ .

يرى ويلنجس أن الحركات التى أنشأت الفوالق على جانبى الوادى بدأت منذ نهاية الجوراسى ، وظلت الرواسب تستقر فيه منذ الطباشيرى الأوسط حتى نهاية الايوسين ، وبعد هذا

الأخير حدثت طية ضئيلة أنشأت حوضا على طول وادى الأردن - الميت - العربه ، لم يلبث أن امتلأ بعد ذلك بمجمعات كبيرة ثم بحجر رملى وطفل ، ولا بد من أن تكون هـذه قد انجرفت من أراض مرتفعة على جانبى الحوض وبعد هـذا تكونت الفوالق الجانبيـة الضخمة وعلت المرتفعات على الجانبين وتكونت الطية المنحرفة فى اتجاه جنوبى جنوبى غربى من ناحية ،وفى اتجاه شمالى شمالى شرقى من الناحية الأخرى .

ويمكن أن نلخص الملاحظات التى بنى عليها ويلنجس رأيه فيما يلى :

١ - أنه يرى أن هناك ارتباطا أساسيا بين نشوء الطية وتكوين الفوالق .

٢ - يستنتج من عدم تشابه الطبقات الأرضية على جانبى البحر الميت، ووجود بقايا جيولوجية متماثلة على الجانبين مع اختلاف ارتفاعهما ، أن هناك تحركا أفقيا انتقل بنتيجته الجدار الغربى فى اتجاه الجنوب تاركا الجدار الشرقى فى مكانه .

٣ - أن الضغط والالتواء سمـة التكوين الجيولوجى لبلاد شرق المتوسط . هذه حقيقة أبرزها وأيدها KRENKEL عام ١٩٢٤. وقد اعتبر كرنكل جبال سوريا جزءا من قوس يصل ما بين سوريا ومصر. غير أنه يلاحظ أن اتجاه محور الجبال فى سوريا من الشمال إلى الجنوب بينما هو فى فلسطين يسير فى اتجاه شمالى شرقى - جنوبي غربى .

٤ ـ وأخيرا يبدو أن بروز جبل الكرمل وانحناء الجبال شمال اريحا فى اتجاه وادى الاردن ، وفوالق جانبي البحر الميت ، وانخفاض كتلة الاردن ـ الميت ـ العربه مع خليج العقبة ، واحديداب السويس ، وبروز كتلة سيناء كلها ، يمكن أن تعتبر نتائج دورة بطيئة واسعة النطاق تسير فى اتجاه عقرب الساعة ، وتعتبر هذه المنطقة جزءا منها ؛ ويرى أن التركيب الداخلى لطبقاتها يؤيد هذه الظاهرة .

وهنا كان لا بد من التساؤل عن مصدر هذه الحركة وسببها .

للاجابة على هذا السؤال قدمت اجابتان : أولهما للجيولوجى الفرنسى « دوبرتريه » DUBERTRET والثانية للاستاذ ويلى ويليس » .

يرى دوبرتريه أن تهرأ الصخور الأساسية وزوال الرواسب التى تغطيها ، والهضبات وقمم الجبال المتعريه المتصلة ببعضها بعضا ، ليست غير مظاهر منطقة ضعف باطنية قديمة قائمة على قاعدة أولية ظلت زمنا طويلا خاضعة لتوتر مستمر ، لكنها تمزقت مؤخرا بعد أن عجزت عن مقاومته ، وهكذا تمزقت القارة الأفريقية القديمة إلى مجموعات ثلاث :

١ ـ أفريقيا الحالية ٢ ـ سيناء ٣ ـ بلاد العرب

وتبعا لهذه النظرية سارت كتلة سيناء نحو الجنوب بطول شاطئها الشرق ودارت الكتلة الأفريقية دورة مقدارها ٤ْ ٦٥ فى اتجاه عقرب الساعة حول مركز يقع فى مكان ما على البحر المتوسط .

أما الأستاذ ب . ويليس فقد هاجم هذه النظرية وقال « بأنها نظرية

تعوزها الأدلة » . وقدم عوضا عنها نظرية معدلة تقوم على نفس الأسس فقال بوجود ثلاث كتل ضخمة هي :

١ - أفريقيا ٢ - سيناء - فلسطين ٣ - بلاد العرب

ويرى أن المعلومات التي وصل إليها اف . اى . ويلنجس المتعلقة بتركيب الأرض ، تؤيد فكرة تحرك كتلة فلسطين - سيناء عن كتلة بلاد العرب وسيرها صوب الجنوب. ويطبق فكرة الدورة بالنسبة لهذه الكتلة البالغ قطرها ٢٠٠ ميل ، ويرى أن هذه الحركة لا بد قد أحدثت دفعا قاريا عن طريق اتساعها اتساعا قرصيا DISCAIDAL . وفضلا عن هذا فإن فى الطابع الديناميكي للمناطق المتاخمة لشرق البحر المتوسط ، ولمنطقة البحر الميت على وجه الخصوص ما يدل على أنها نمت ولم تزل تنمو بعد ، خصوصا وان عهد هذه المنطقة بآخر زلزال عام ١٩٢٧ ليس ببعيد .

وأما عن التاريخ الذى تتابعت فية مراحل تكوين الوادى وأزمانها فلا بد من الإشارة أولا إلى حوض بحيرة الأردن - الميت الأولى التى نشأت من أول انطواء تم فى هذه المنطقة ، أبان العصر الطباشيرى المتاخر ، وهذه البحيرة كانت تمتد فى عصر الايوسين الأوسط حتى جنوبى بيت لحم تاركة تلال السامرة كجزيرة أو شبه جزيرة . غير أن الحد الجنوبى لهذه البحيرة التى كانت ما تزال تعتبر جزءا من بحر تيثس ما كان يصل إلى أبعد من جبل طبيق والمدورة .

والمرحلة التالية لتكوين الوادى تمت أبان عصر البليوسين ، عند ماهبط قاع الوادى لعمق ٣١٠٠ قدم - قاع الميت اليوم - رافعا الأرض ،

والأطراف، على الجانبين لعلو ۲۰۰۰ قدم، وفى بعض الأنحاء لأكثر من ذلك، وانشعب جدار الوادى الشرقى شمال الميت الى شعبتين تقطعان طريق عمان - السلط اليوم ونزلت القشرة الأرضية فى اتجاه مواز لساحل البحر الأحمر فى الجنوب وجبال طوروس فى الشمال ودخلت المياه خليج العقبة ووقفت عاجزة أمام مرتفع العربه البالغ علوه ۱۲۰۰ قدما

غير أن هناك من الشواهد ما يشير إلى أن الوادى آنذاك كان منقسما إلى قسمين :

القسم الشمالى - ويشمل حوض بيسان وجنوب بحيرة طبريه والجليل كبحيرة صغيرة (ذات ماء عذب) حول جبل حرمون .

والقسم الجنوبى - ويبدأ من خط تقسيم المياه بين البحيرتين (ومكانه اليوم المنطقة التى تتقدم فيها جبال السامرة نحو الشرق وهضبة شرق الاردن نحو الغرب فى وسط الاردن الأدنى) ويسير مع الاردن والميت صاعدا وادى العربه ، إلى مستوى البحر المتوسط اليوم ، وكانت بحيرة شديدة الملوحه .

فى البليوسين كان المناخ يشبه المناخ اليوم ، وكان الميت بنفس حجمه الآن تقريبا . وتلا هذا ، عصر البليستوسين ، وفيه حدث ما يعرف بالعصر المطير ، فارتفع نتيجة له مستوى البحر الميت لزيادة ما يتلقاه من الماء عما يبخره ، ووصلت بحيرة الاردن إلى ارتفاع ۱٤۰۰ قدما عن سطحها الحالى . غير أنه ما كان ممكنا أن يكون مستواها أعلى من المتوسط بكثير ، إذ أن أعلى النقاط فى فلسطين ، بخلاف مرتفعات شرق الواردى ، ما كان

يتجاوز ارتفاعها ألف قدم . وظل الماء محجوزا من النفاذ إلى البحر الأحمر لاعتراض حاجز العربة .

فى هذه الأثناء ، تحطم الحاجز الفاصل بين البحيرة الشمالية والبحيرة الجنوبية ، ووصلت بحيرة الاردن لأوسع امتداد لها إذ بلغ طولها ۲۰۰ ميلا ،من الحوله فى الشمال إلى نقطة تبعد ۷۰ ميلا عن جنوب الميت اليوم. وكذلك امتلأت الأودية العميقة على جانب الوادى بالحجارة المنجرفة مع الفيضانات ، واندفعت بعد ذلك ، تمزق أضعف جوانبها فكونت الخوانق المتعددة على الجانبين ، وهكذا انصرفت مياه بحيرة الزرقاء القديمة إلى الوادى .

أعقب هذا العصر المطير عصر جاف ، زاد خلاله البخر ، عما يتلقاه البحر من الماء ، مما أدى إلى انكماشه بالتدريج إلى أن ظلت بقية منه تاركة حولها شواطىء يغطيها الطفل والرواسب والأملاح، تعتبر أبلغ شهادة على ما حل به من جفاف .

أما شبه جزيرة اللسان وجبل أسدوم فقد نشأ من رواسب هذه البحيرة. غير أن ملاحظة طبقات شبه الجزيرة هذه ، تدل على حدوث ارتفاع فى أرضه الغور ، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن اضطراد هبوط قشرة الارض أدى لقيامها ولنشوء (جبل الملح) أيضا . ولا يبعد أن شبه جزيرة اللسان كانت مرتبطة بالجدار الغربى للميت مكونة طرفه الجنوبى بالتالى . غير أنه بتأثير الهبوطات المستمرة تمزق هذا الحاجز وربما ساعد على تمزقه حدوث زلزال أدى لفيض ماء البحر على أخفض نقطة فيه .

وفيما يتعلق بمجرى نهر اليرموك ، ونشوء بحيرتا الحوله ، وطبريه ،

فانها جميعا ترجع لحركات بركانيـة حديثة أدت إلى امتداد طبقة نارية فوق الطبقات الـكلسية التى كانت تغطى الأرض هناك مما جعل مجرى اليرموك يتبع فى سيره انحناء الجبال ، فضلا عن أن نهاية عصور الجليد بعد تقدمها أدت لنقص مياه اليرموك وعجزه عن أن يسير حتى « المتوسط » شأنه من قبل .

تربة

قلنا أن منخفض وادى الاردن كانت تغطيه المياه فى أحد الاوقات ، مما يفسر انتشار الطمى الرسوبى DILUVIAL MARL فى أنحاء كثيرة منه ، وهو الذى سماه LARTET باسم « طمى اللسان » الذى كثيرا ما يكشف عن تركيب أرضى ردىء ترجع معظم صخوره إلى الزمن الثالث .

فى كلامنا الآن عن تربة الوادى سنعرض أولا للتلال المحيطـة به ، وثانيا للتربة فى قلبه .

ترجع مرتفعات الجليل ، فى شمال الوادى ، إلى أعمار جيولوجيـة مختلفة ، أحدثها الصخور البازلتية التى مزقت الغطاء الـكلسى واختلطت به مما أعطى الأرض تربة غاية فى الخصوبة . ودون الجليل يقع مرج ابن عامر ، ويتكون من طبقة رسوبيـة عميقة تكونت من تفتت تلال السامرة الـكلسية فى الجنوب ومن تلال الجليل المغطاة بالبازلت فى الشمال ، ويكثر الطمى الانجرافى ، بوجه خاص ، فى طرفه الشرقى المتصل بوسط الوادى ، وتلى ذلك منطقة تلال فلسطين الشرقية ، وتتألف من صخور كلسية ترجع

إلى الطباشيرى الأعلى ، ومنها أحجار صلبة جيدة تشبه الرخام ، ومنها ما هو أقرب للطبيعة الطباشيرية الهشة . وإلى الجنوب فى وادى العربه تتكون الأرض من حجر رملى نوبى يرجع للطباشير الأدنى، ومن بازلت وتندمج بها صخور قديمة ترجع لعصر الكمبرى وما قبله ، وتتفتت هذه الصخور مكونة رملا ورديا أحمر يحتوى ما يقرب ١٠,٠ من الحديد ، ويحول دون الاستفادة من خصوبة التربة هنا ارتفاع نسبة الاملاح فيها وهى حقيقة يفسرها قربها من الميت . أما تلال شرقى الوادى فتتكون من حجارة كلسية ترجع إلى العصر الطباشيرى ، تتداخل فيها أحيانا صخور حمراء TERRA ROSA إلا فى الشمال حول اليرموك حيث تختلط التربة بأحجار بازلتية قديمة .

أما فى قلب الوادى فقد أدى انكماش بحيرة الاردن القديمة إلى انجراف تربة غنية من الجبال ، واستقرارها فى القاع ، الامر الذى أنشأ تربة يتفاوت سمكها بين ٣ - ٥ من الامتار، ويقل السمك كلما اتجهنا نحو الغرب .

وهنا تختلف خصائص التربة ، فترتفع نسبة الكلور ، مما يعسر نمو بعض النباتات (١) الحمضيات على وجه الخصوص، وأكثر ما يكون أذاه فى التربة الغنية بالكلس .

وفى الغور الشرقى تجود التربة بين اليرموك والزرقاء ، وبعد ذلك إلى

---

(١) من مظاهر الكلور الزائد ضعف المحاصيل وعجز الاشجار عن اضطراد النمو ، وقلة الاثمار وذبول الاوراق وسقوطها أحيانا ، وفى الحالات البالغة السوء تصفر .

مدى عشرة أميال نحو الجنوب ، تستحيل التربة رملية مرتفعة الملوحة وتكثر فيها كربونات الكلسيوم وبعض مركبات البوتاسيوم ، ثم تصير التربة طميية تغطيها الاملاح ما خلا بقاعا متناثرة .

أما فى الغور الغربى ، فتعتبر تربة أريحا أخف من التربة المقابلة لها فى الغور الشرقى . هذه الحقيقة بالاضافة إلى وفرة الرى جعلت من أريحا منطقة تتميز بجودة برتقالها ، والحال كذلك فى بيسان .

وبصورة عامة تجود التربة فى قلب الوادى ، وتزدهر فيها النباتات ، خصوصا حيث الطمى الرسوبى يغطيه طمى جرفته الانهار القادمة من التلال على الجانبين ، وفيما عدا هذا يرجع عدم ازدهار الزراعة فى أنحاء الوادى جميعا إلى عاملين : ارتفاع ملوحة التربة ، والافتقار إلى الماء الكافى .



معادنه

إذا استثنينا البحر الميت ، نجد أن هـذا الوادى لم يمسح بعـد مسحا جيولوجيا وافيا ، قصد الوصول إلى ما يدفن فى باطنه من ثروات معدنية . غير أنه فى وسعنا ، اعتمادا على الجيولوجى « بليك (١) » الخبير الجيولوجى السابق لدى حكومة فلسطين - وعلى الأركيولوجى الكبير « ن . جلويك » والاقتصادى « كونيكوف (٢) » ، أن نعطى لمحة سريعة عن أهم المعادن فيه .

الحديد

يوجد فى التلال ، شرقى الوادى ، دون عجلون ، بالقرب من نهر الزرقاء . وكذلك يظهر عرق منـه متداخل بين طبقات الحجر الرملى فى الجنوب الشرقى من « الميت » . ولـكن كمية الاحتياطيات الموجودة لم تستطع ولم تبحث البحث الـكافى بعد .

فحص « بليك » منطقة « تل القويدر » - بالقرب من الزرقاء - فوجد نوعين من الخامات ، أحدهما صلب متماسك ذو لون أسود يميل إلى اللون البنى المظلم ، والآخر ذو لون أقرب للحمرة . والأول من نوع « الهمتايت » HAEMATITE ونوعه جيد يسهل صناعة الصلب بطريقة الأكسدة ، بينما يحتوى الثانى على نسبة مرتفعة من الشوائب الـكلسية والسيليكونية .

ويبدو أن كميات الحديد الموجودة فى المنطقة التى جرى البحث فيها ، لا تتجاوز ٢٠٠ الف طن من الصنف الجيد ومثلها من الصنف الآخر .

---

(١) G. S. BLAKE

(٢) A. KONIKOFF

والعائق أمام استغلاله على نطاق تجارى واسع ، صعوبة النقل، والافتقار لوقود رخيص بصهره فى أماكن وجوده .

أما حديد المنطقة الجنوبية فيتراوح سمك العروق الظاهرة منه بين ٢ - ١٢ بوصة ، مما لا يبشر - حتى الآن على الأقل - بتوافر احتياطيات كبيرة.

النحاس

تنتشر آثاره بكثرة بين غور الصافى وغابة « فينان » - إلى الجنوب الشرقى من الميت - على شكل « أوكسيد النحاس الأحمر » و « كربونات النحاس » مع نسبة ضئيلة من الـ COPPER GLANCE متداخلة بين طبقات الحجر النوبى الرملى .

والخام الموجود جيد النوع ، لكن لم يتوفر بعد بكميات اقتصادية فيما خلا الاحتياطيات التى اكتشفت فى « رانج » قرب فينان وعلى أطراف العربه .

وكان القدماء يستغلون جميع نحاس هذه المنطقة وكان ما يستخرجونه يسد احتياجاتهم المتواضعة ويساير أساليب الصهر القديمة . وقد أبان الدكتور ن . جلويك فى كتابه :

THE OTHER SIDE OF THE JORDAN

جميع محال الصهر التى كانت تعمل قديما فى هذه المنطقة .

ولا شك أن أوفق سياسة يستفاد بها من هذه الخامات ، صهرها فى أماكنها ، الأمر الذى يعوقه ندرة الوقود وارتفاع تكاليفه مما يجعل فكرة استغلاله الآن سابقة لأوانها . وقبلما يكثر البحث الذى قد يؤدى إلى اكتشاف احتياطيات أكثر سمكا وأوفر كمية.

المنجنيز

يوجد على جانب « وادى ضانا » بجوار الطفيلة ، ولا يتجاوز طول البادى منه ١٠٠٠ قدم ، ضئيل السمك فى رواسب منعزلة على تكوينات الحجر الرملى . غير أنه فى أطراف هذا المكان تتناثر صخور المنجنيز مسافة ميلين صوب الشرق . مما قد يدل على استمرار احتياطياته فى باطن الأرض بطول هذه المسافة .

المغره OCHRE

نوع من أكاسيد الحديد ، ذات ألوان ، منها حمراء فاقعة أو قاتمة أو صفراء . وتستخدم فى صناعة الأصباغ . وتوجد بالقرب من « زرقاء ماعين » ونوعها هنا جيد أصفر ، تقدر كمية الظاهر منه بـ ٢٠٠ طن .

وبالاضافة لذلك كشفت كميات من النوع الأصفر أيضا فى بقعة تجاور مدينة جرش . ولم تعرف كميتها بعد .

الكاؤلين CHINA CLAY

توجد احتياطياته فى التلال المطلة على وسط « وادى شعيب » فى سيره نحو الاردن إلى الغرب ، مشرفة على الطريق الرئيسى الذى يربط عمان بالقدس . ولا تعرف كمياته بالدقة .

ونشطت أعمال استخراج هذه المعادن الثلاثة (المنجنيز ، المغره ، الكاؤلين) أبان الحرب الأخيرة إذ كانت تصدر[1] لفلسطين آنذاك

---

(١) بلغت صادرات (الكاؤلين ، ورمل السيليكا ، والمغره ، والمنجنيز) عام ١٩٤٣ ، ٤٥٩١ طنا انخفضت الى ٢٦٧٣ طنا عام ١٩٤٤ ، وارتفعت عام ١٩٤٥ إلى ٤٥٨٦ طنا وانخفضت فى عام ١٩٤٦ إلى ١١٠٢ طن ثم إلى ٣٤٨٨ طنا عام ١٩٤٧

بعد أن انقطعت الموارد عنها ، لاستخدامها فى صناعة طوب المواقد والخزف وصناعة الزجاج وغيرها .

الفوسفات

باستثناء موارد البحر الميت يعتبر الفوسفات أهم معادن الوادى . ويتوفر فى أمكنة متعددة على الجانبين . ففى الجانب الغربى يكثر فى منطقة « النبى موسى » - بين أريحا والبحر الميت - وفى الجبال المطلة على الميت من الغرب . وتقدر كمية فوسفات المنطقة الأولى بـ ٢٢٥ مليون طن ، كما تقدر كمياته فى الثانية بـ ٦ مليون طن . ونسبة فوسفات الجير فى خامات المنطقة الأولى ٥٠ ,٠ تصل فى المنطقة الثانية إلى ٥٣ ,٠ و ٥٥ ,٠ وهناك مناطق تقل فيها هذه النسبة مما يهبط بنسبتها فى خامات غربى الوادى جميعا إلى ٤٣ ,٠ و ٤٦ ,٠

أما أوكسيد الفوسفات فتصل نسبته فى صخور المنطقة الثانية ٢٥ ,٠

وفى الجانب الشرقى توجد صخور الفوسفات فى منطقة « الرصيفه » فى أقصى الجانب الشرقى لحوض الوادى . وقدر بليك كمية فوسفاتها عام ١٩٣٠ بـ ١٢٠ الف طن . غير أنه بتوالى أعمال استخراجه - لم يلبث هذا التقدير أن تجاوز عشرة ملايين طن(١) . وصخور الرصيفة تحوى نسبة عالية من فوسفات الجير فتصل إلى ٧٠ ,٠ وتتجاوز ذلك إلى ٧٥ ,٠ وتتراوح نسبة أكسيد الفوسفات فيه بين ٢٢,٥ ,٠ - ٣٦ ,٠

ويفوق فوسفات الرصيفة الفوسفات المستخرج من شمال أفريقيا كما

---

(١) تقدير ذكره لنا الاستاذ صلاح الدين الحلوانى ، مهندس شركة الفوسفات الاردنية .

أنه يتفوق على بعض الأنواع التى تصدرها مصر . وقد انتعشت أعمال شركة الفوسفات الأردنية المهيمنة على استخراجه أبان الحرب الأخيرة(١) إذ كانت تصدر ما تستخرجه لفلسطين حيث كان يعالج ببعض الأحماض ويحول إلى «سوپر فوسفات» فى CHEMICAL INDUSTRIES TEL-AVIV ليستخدم من بعد ذلك فى أعمال التخصيب الزراعى .

علاوة على هذه الأمكنة تنتشر مجموعات من الفوسفات بشكل مسحوق حول وادى الحسا . ولا تعرف كميتها بالدقة . وتتراوح نسبة فوسفات الجير فيها بين ٤٦ ,٠ - ٦١ ,٠ وأكسيد الفوسفات بين ٢١ ,٠ - ٢٨ ,٠

الجبس

فى الجانب الغربى يكثر فى منطقة «الملحمية» قرب جسر المجامع ، معظمه فى أراض تمتلكها مؤسسة «البيكا» P. I. C. A. اليهودية ، وقد قدرت كميته فيها عام ١٩٣٠ بنحو ٥,٦٠٠,٠٠٠ طن ، بينما قدرت كمية الموجود فى الأراضى العربية آنذاك بنحو ١,١٣٢,٥٦٠ طنا . ومن هنا كانت شركة «نيشر» NESHER CO. تأخذ ماتحتاجه لصناعة الأسمنت

وخلاف هذه المنطقة ، توجد مناطق متسعة عند أريحا ، تسير غربى الميت حتى أقصى الجنوب ، لتلتقى بمنطقة الجبس القادمة من وادى الحسا فى الشرق .

وكشفت مؤخرا منطقه غنية بين الكرك وغور المزرعة ، يبلغ سمك

---

(١) بلغ مجموع ما صدرته الشركة بين أعوام ١٩٤٣ - ١٩٤٧ (٢١٨٥٧) طنا بينما بلغ ما استخرجته عام ١٩٤٨ (٧٧٧) طنا لم تصدر منها شيئا (تقارير دائرة الجمارك والمكوس والتجارة والصناعة) الاردنية .

عروقها من ٢ - ٣ أمتار وتمتد لعدة أميال على طول المنحدرات المتجهة غربا صوب الميت . وكذلك كشفت منطقة أخرى عامرة بالجبس النقى فى حوض الزرقاء قرب « وادى حونى » غير أنها ليست غنية غنى منطقة الكرك .

وقد درست فكرة البدأ فى استغلال جبس الكرك - المزرعه بتحويل الجبس الخام إلى جبس نقى واجراء عمليات معينة عليه عند شواطىء الميت ، واقترح لذلك استغلال انحـــدار الارض هناك باقامة سلك معلق AERIAL ROPEWAY طوله نحو ٦ أميال دون الحاجة لقوة دافعة .

الكبريت

ينشأ بصورة أساسية من تحلل الجبس فى الطبقات الرسوبية على الجانبين . وينتشر فى مساحات واسعة ولكن بكميات قليلة مما يجعل أمر استغلاله على نطاق واسع موضع شك . ويوجد عادة على شكل كرات بحجم الجوزة الواحدة . وأحيانا على شكل مسطحات .

ويعنى البدو بجمعه بأيديهم فى الوقت الحاضر لأغراض علاجية وذلك لأن الكمية القليلة التى يتيسر الحصول عليها لا تبرر طرقا أكثر تعقيدا وتكلفة .



قدر الماجور «بروك» حجم ماءه عام ١٩١٩ بـ ١٥٨,٩ كيلو مترا مكعبا . وأهم ظاهره ترتبط بمائه هي شدة ملوحته . فبينما لا تتجاوز ملوحة مياه المحيط ٤ , ٠ - ٦ , ٠ ، يشمل ماء البحـــر الميت نسبة تتراوح بين ٢٣ , ٠ - ٢٥ , ٠ من الأملاح . فمن عينه أخذت من عمق ٣٩٠ قدما من سطحه ، كانت نسبة المواد الصلبة فيها ٢٤,٥ , ٠ . وكانت نسب المعادن من هذه المواد كما يلي :

المادة	٪	المادة	٪
كلورين	٦٧,٦٦	بوتاسيوم	١,٦٠
برومين	١,٩٨	كلسيوم	١,٥١
كبريت	٠,٢٢	مغنسيوم	١٦,٨٠
صوديوم	١٠,٢٠		

أما الصوديوم والكبريت فيوجدان على شكل كلوريدات ، والمغنسيوم على شكل كلوريدات وبرومنيات ، والكلسيوم على شكل كلوريدات وكبريتات .

ومن هنا كان لماء هذه البحر أهميته العظمى من ناحية اقتصادية وتجارية ويتبين لنا عظم هذه الأهمية من الاحصائية التالية التي تجمع تقديرات لكميات الاملاح الذائبة فيه :ـ

المادة	الكمية بملايين الاطنان	ملاحظات
كلوريد البوتاسيوم	٢٠٠٠	يكفى العالم بمعدل الاستهلاك الحالى لألف عام
كلوريد الصوديوم	١١٩٠٠	
كلوريد المغنسيوم	٢٢٠٠٠	يمكن أن يستخرج منها مغنسيوم نقى ٥٩٠٠ مليون طن
كلوريد الكالسيوم	٦٠٠٠	
بروميد المغنسيوم	٩٨٠	يمكن أن يستخرج منها برومين نقى بمقدار ٨٥٥ مليون طن

هذا فضلا عن كميات الذهب التى تكثر فى الحُفر حول البحر وفى قاعه، وقد قدر عالم فرنسى منذ سنوات قيمتها بنحو ٥ مليارات من الجنيهات الاسترلينية .

مصادر أملاحه :

هذه الثروة الضخمة دفعت إلى التساؤل عن مصادر تكوينها، وأسباب وجودها ؟

المتفق أن أملاح هذا البحر -وهى سبب ثرائه- ترجع إلى مصادر ثلاث :

أولها - مصدر قديم يرجع إلى الايام التى أخذت فيها بحيرة الاردن الميت الاولى فى الانكماش بعد أن كان طولها يمتد مئتى ميل . فقد حملت

مياهها كميات لا حد لها من الاملاح ، ظلت تحتفظ بها إلى الآن .

وثانيها - الينابيع المعدنية والأنهار التى تنصب فيه ، وهى ما زالت تمده بنسبة عالية من الأملاح . ودلت الأبحاث الحديثة على أن ماء الاردن يحمل نسبة مرتفعة منها ، وخصوصا من أملاح الصوديوم والمغنسيوم . وكذلك قدرت كميات البوتاس التى يأتى بها للبحر الميت بـ ٤٠ الف طن سنويا .

وأشهر العيون المعدنية التى يجرى ماؤها إليه توجد فى طبريا ، والحمه عند نهر اليرموك ، وعيون زرقاء ماعين . وتتجلى أهمية هذه العيون فى تكوين أملاحه من الاحصائية التالية المبينة لنسب الأملاح المختلفة فى ماء عين طبريا مثلا :-

المادة	النسبة للالف	المادة	النسبة للالف
كربونات الكلسيوم	٠,٠٨	كلوريد المغنسيوم	٢,٣٠
كبريتات الكلسيوم	١,٠٩	بروميد المغنسيوم	٠,٢٦
كلوريد الكلسيوم	٨,٥٢	كلوريد الصوديوم	١٧,٠٣
كلوريد السترونتيوم	٠,١٥	كلوريد البوتاسيوم	٠,٥٥

أما المصدر الثالث - فلا بد أن يكون من ينابيع معدنية تتفجر فى قاع البحر نفسه .

وجدير بالذكر أن هذه الدراسة استخدمت فى تقدير عمر هذا البحر . فقد أجرى أروين IRWIN تجربة بناها على أساس معرفته لكميات

المغنسيوم الموجودة فيه ومدى الزيادة التى تطرأ عليها فى العام . ومن ذلك قدر عمره بـ ٤٠ الف عام .

غير أنه يلاحظ أن هذا التقدير منخفض للغاية . وهنا نرجو ألا تفوتنا الاشارة إلى أنه بالرغم من تعدد دراسات هـذا البحر والتعمق فى مختلف مظاهره . فان هناك ظواهر لم ينعقد عليها الاجماع ، منها مشكلة التحول العجيب الذى يطرأ على كل من كلوريد الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم فبعد أن تكون نسبة الأول إلى الثانى ٢ : ١ فى الاردن قبل أن يصل إلى الميت تتحول إلى ١ : ٢ فيه . وقد تعددت التفسيرات المعقدة التى حاولت جلاء هذه المسألة ، ويرى الأستاذ كونيكوف أنها جميعا لا تخلو من المكابرة .

أما من الناحيـة التجارية فإن للبوتاس استعمالات متعددة ، فى صنع البارود ، والعقاقير ، والطلاء ، والصابون ، والزجاج ، واستعماله الرئيسى كمخصب وهو من هذه الناحية يلحق بمجموعة الفوسفات والنيترات وإن كان لا ينافسها إذ أنه يؤدى أغراضا تختلف عن الأغراض التى تؤديها فى الزراعة . وللبرومين استعمالات فى الفوتوغرافيا والطب وفى أنتاج الأصباغ والقنابل اليدوية والغازات واستعماله الرئيسى فى « الاثيلين ديبرومايد » (ETHYLENE DYBROMIDE) حيث يستخدم مع غيره من المواد وقودا للطائرات . وأما المغنسيوم فيستخدم فى صناعة الأخلاط التى تستخدم فى صناعة الطائرات أيضا .

وتبدو قيمة ثروته النادرة المثال ، من حقيقة أن ثمن الطن الواحد من كلوريد البوتاسيوم وصل فى بريطانيا عام ١٩٣٠ إلى ٩ جنيهات . وقد

قدرت تكاليف استخراج ونقل الطن الواحد منه لانجلترا آنذاك بأقل من ٣ جنيهات ، فيكون صافى ثمن الطن ٦ جنيهات ، تعطينا تقديرا لقيمة ما يحويه منه ١٢ مليارا من الجنيهات . وقس على هذا البرومين ، الذى بلغ ثمن الطن منه فى انجلترا ١٧٠ جنيها عام ١٩٢٧ ، وغيره من الأملاح .

وتمتلك حق استغلال هذه الثروة العريضة شركة البوتاس الفلسطينية ، وفق امتياز منحه إياها المندوب السامى لفلسطين وشرق الأردن ، عام ١٩٣٠ وافقت عليه الحكومة الأردنية فى ذلك الحين (١)

البترول والتكوينات المحتوية على مواد بترولية :

البيتومين

يعرف بوجوده فى البحر الميت منذ زمن بعيد ، ولا يبعد أن يكون السبب الذى من أجله سمى هذا البحر يوما « ببحر الاسفلت » ، وهو من نوعين : الأول صخر الاسفلت ASPHALT ROCK والثانى البيتومين النقى .

يكثر الأول غرب هذا البحر ، حول الحصن اليهودى القديم « ماسادا » ، وكذلك فى « وادى محاوط » كمادة أسمنتية بين مسطحات العصر الرسوبى . وفى الشرق يكثر بين طبقات الحجر الرملى النوبى ، إلى الشرق من اللسان وفى الجنوب من نهر الموجب ، وكمياته غير معروفة بالدقة . غير أن الظواهر تشير إلى كبر الكمية الموجودة شرق الاردن . ويرى بليك أنها منطقة جديرة بالتنقيب الذى قد لا يخيب .

(١) راجع القسم الثانى الخاص بهذا الموضوع

والثانى : البيتومين النقى ، وهو من نوع جيد(١) ويطفو على سطح « الميت » ، وبينما ينتشر على طول شواطئه ، غير أنه يتركز فى مكانين معينين عين الجدى على الشاطىء الغربى، وعند مصب نهر الموجب فى شاطئه الشرقى

وأجريت على هذه المادة عدة تجارب ، بقصد ايجاد استعمالات لها فى صناعة الطلاء ، لم تسفر عن نجاح ، ونجح فى استخدامه كمادة عازلة للكهرباء

ومن حيث التوسع فى استغلاله على نطاق تجارى ، فأمر يتوقف على الأسعار الملائمة التى لابد أن يعرض بها فى الاسواق ، وهذا أمر ميسور خصوصا بملاحظة أن تكاليف الحصول عليه من سطح البحر الميت ضئيلة للغاية . غير أنه يبدو من المشكوك فيه أن تتجاوز الكمية المتيسر الحصول عليها من هذا السبيل ١٠٠ طن شهريا

أما البيتومين الصخرى فلم ينتظم استعماله حتى الآن

حجر الكلس البيتومينى BITUMINOUS LIMESTONE

ينتشر فى أنحاء الوادى شرقا وغربا . فى الغرب يكثر فى منطقة « النبي موسى » وبالقرب من البحر الميت . وفى الأولى تغطية طبقات من الفوسفات ، ويقدر ما يمكن أن يستخرج منه بنحو ٢٤ مليون طن

أما فى الثانية فتتجاوز كميته ١٠٠ مليونا من الاطنان . وتوجد كميات قليلة حول نابلس . وكذلك فى الجليل حول « صفد » حيث تقدر كميته بـ ٢٠ مليون طنا تغطيها طبقات طباشيرية .

---

(١) يفوق نظائره المستخرجة من جزيرة « بربادوس » فى جزر الهند الغربية

أما فى الجانب الشرقى ، فيكثر حول الكرك ويمتد إلى جنوبها بقليل ، ثم يعود إلى الظهور ثانية حول نهر اليرموك فى وادى شلال وفى وادى العرب . وتقدر كمية الموجود منه داخل الاراضى الاردنية بـ ٢ مليون طن . وتوجد كميات ضخمة فى امتداد هذه المنطقة عبر الاراضى السورية

وتختلف أنواع هذا الحجر . فحجر منطقة النبى موسى ذو لون أسود يشمل ٢٠ ,٠ من المادة البيتوميذية و ٣ ,٠ من الغاز السريع الاشتعال و ٩ ,٠ من البترول الخام .

أما حجر منطقة اليرموك فبتقطيره تقطيرا اتلافيا ، تحت الضغط الجوى المعتاد ، أمكن الحصول على ٩ ,٠ من البترول الخام . غير أنه بتسخينه تحت ضغط جوى منخفض واستخلاص ما به من كلوروفورم ، أمكن الحصول على نسبة منه قدرها ١٧ ,٠ كمستخرج بترولى .

وبوجه عام فاحجار الكاس البيتوميذية طباشيرية ، ذات لون بنى فاتح فى الغالب ، لا يدل على احتوائها على أية مواد زيتية .

ويمكننا إدراك أهمية هذه المادة ، من ناحية ما تحويه من مختلف المركبات الكيمائية ، من الجدول التالى الذى يشمل نتائج تجربتين أجريت إحداهما على مستخرج من منطقة « النبى موسى » والأخرى على مستخرج من منطقة غربى « البحر الميت » : ـ

المادة	٪	
	منطقة النبى موسى	غربى البحر الميت
ماء	٠و٥٦	١و٠
ثانى أوكسيد الكربون	٣٠،٩٠	٢٩و١
مادة سيليكونية	٣و٢٠	٣و٦

= بقية الجدول

أكسيد الحديد والالومنيوم	٣و٤٦	٣ر٦
أوكسيد الكلس	٤٠و٨٠	٣٩ر٧
أوكسيد المغنسيوم	٠ر٨٤	٠ر٧
خامس أوكسيد الفوسفور	٠ر٥٢	١ر٤
مادة عضوية	١٦ر٥٤	٢٠ر٦
ثالث أوكسيد الكبريت	٢ر٦٨	...
قلويات	٠ر٤٩	...
	٩٩ر٩٩	١٠٠ر٠

والاستفادة من هذه الأحجار الكلسية البيتومينية تنصرف فى ثلاثة أوجه :

١ - استعمالها مباشرة كوقود(١)

٢ - تقطيرها اتلافيا بقصد استخراج البترول

٣ - أنتاج الجير الحى كمستخرج أساسى، والبترول كمستخرج اضافى(٢)

وتتضح أهمية هذه المادة فى استنباط البترول، من انه من كل ١٠٠,٠٠٠ طن منها يمكن الحصول على ٤٠ ألف طن من الجير الحى وعلى ٨٥٠٠ طن من البترول الخام . ومن هذه الكمية الأخيرة يمكن استخراج ٢٥٠٠ طن من أعلى رتبة من مشتقات البترول، وما يتخلف عن ذلك يمكن أن يستخدم كزيت ديزل خام فى بعض أنواع الآلات التى تستخدم الزيوت الخفيفة . أو لطحن صخور الفوسفات الموجودة فى نفس المنطقة، واستعمالها كمخصب زراعى.

(١) حدثنا صديقنا الاستاذ عبد السلام ابراهيم بما سمعه من أن بعض الفلاحين فى منطقة الكرك الطفيلة يشعلون بعض هذه الاحجار ليستفيدوا منها فى بعض حاجياتهم المنزلية.

(٢) فى إحدى التجارب التى أجريت على البترول الخام المستخرج من هذه المادة أمكن الحصول على ١٩ ٪ من البنزين بتسخينه حتى درجة ١٧٥ سنتيغراد وعلى ١٦ ٪ من الكيروسين بتسخينه حتى درجة ٢٣٠

أما نتائج التجارب التى أجريت فى جانبى الوادى فتشير إلى امكانية استخراج البترول من هذه المادة والاستفادة من الباقى كجير حى . وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الألمان أقاموا أبان الحرب الأولى مصنعا فى منطقة اليرموك حاولوا أن يستخرجوا فيه بعض البترول بهذه الطريقة .

البترول

تتركز مناطقه حول كتلة البحر الميت . وتقدر المساحة التى تحيط بها رشوحاته بنحو ٥٠٠ كيلومترا مربعاً .

من هذه الرشوحات السائلة اكتشفت كمية قليلة شرق الوادى فى « عين حممة » ، وتقع على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من نهر الموجب وشرق شبه جزيرة اللسان ؛ ومع قلة الكمية السائلة فقد عرفت صفات هذا الخام، وينتمى للفصيلة الأسفلتية . ويحتوى على نسبة مرتفعة من الكبريت تصل إلى ٠,٣٤ وهو من بعض الوجوه يشبه البترول المستخرج من حقول كاليفورنيا وفصيلة الزيت المكسيكى الثقيل .

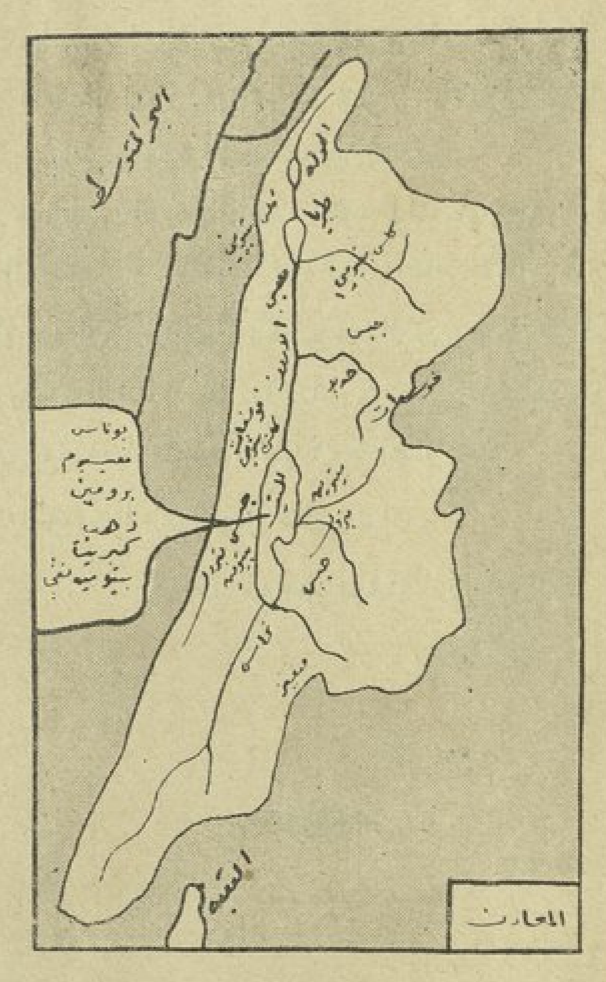
واكتشفت كذلك كمية قليلة فى « وادى مكارم » حول نهر اليرموك بالقرب من « نصيب »

أما فى الجانب الغربى فقد اكتشفت كمية من البترول النقى فى طبقات الصخور العليا فى منطقة « النبى موسى » تصل إلى ٠,٠١ .

ولوحظ أن هذه الرشوحات جميعها تظهر فى المناطق الغنية بالصخور الاسفلتية أو بصخور الكلس البيتومينى أو تلك التى تحوى رشوحات سائلة منها .

هذه الحقيقة دفعت بعض الجيولوجيين إلى الاعتقاد بأن أحجار

الـكلس البيتوميني والبيتومين النقي الذي يطفو على ماء البحر الميت بترولية الأصل، بل يمكن أن يقال أنهما طفح بترولي . غير أن فريقاً آخر من الجيولوجيين يرى أن هذه الأحجار والبيتومين النقي ليست إلا كذلك في أصلها . (راجع خارطة ٥)



(خارطة ٥)

وترجع أعمال التنقيب عن البترول إلى عام ١٩١٢ - ١٩١٣، عند ماقامت « شركة التنقيب السورية » ، بالتنقيب فى وادى اليرموك ، وكذلك نشطت هذه الاعمال فى فترة ما بين الحربين ، وقد نهضت بها شركة بترول العراق مركزة جهودها فى قاع الوادى وحول جوانب البحر الميت . ولا نشك فى أنها وصلت إلى نتائج أصح وأدق من أى نتائج أمكن الوصول إليها عن امكانياته البترولية . غير أنها لم تنشر شيئا يمكن الاطلاع عليه ، وهو أمر نذكره بمرارة وأسف شديدين.

ومع هذا فليس لنا إلا أن نقول ماقاله بليك عام ١٩٣٨ بأن الظواهر « تشير إلى مجال أرحب للتنقيب ، واحتمال اتساع الطبقات البترولية » .

والآن بعد أن سردنا قصة تكوين هذا الوادى العظيم ، والمحنا إلى تربته الخصبة وثروته الواسعة . نقف لنتساءل متى بدأت فيه الحياة ؟ وهل قدر الانسان موارده ؟ وكيف استغلها ؟ وما قصته فيه ؟

هذا ما نجيب عليه فى الفصل التالى بعنوان .

وادى الاردن فى التاريخ



الفصل الثالث

وادى الاردن فى التـــاريخ

تنعكس جغرافية الوادى على تاريخه ، فيعلو كالجبال وينخفض كالاغوار ويجف كالصحارى .



مراجع الفصل الثالث

بالعربية

١ — موسوعة هارمزورث التاريخية   ترجمة وزارة المعارف المصرية

٢ — الصهيونية   الدكتور سعدي بسيسو

٣ — تاريخ شرقي الاردن وقبائلها   ترجمة بهاء الدين طوقان

بالانجليزية

٤ -- J. WALKER :
AN OUTLINE OF MAN' S HISTORY

٥ -- J. L. BURCKHARDT :
TRAVELS IN SYRIA AND THE HOLY LAND

٦ -- GUY LE STRANGE :
PALESTINE UNDER THE MOSLEMS

٧ -- W. C. LOWDER MILK :
PALESTINE LAND OF PROMISE (CHAPTERS IV, V)

٨ -- N. GLUECK :
THE RIVER JORDAN ...

٩ -- N. GLUECK :
THE OTHER SIDE OF OF THE JORDAN

١٠ -- W. F. ALBRIGHT :
THE ARCHAEOLOGY OF PALESTINE

الفصل الثالث

وادى الاردن فى التاريخ

ظهور الانسان

أشرنا فى الفصل السابق إلى العصور الجيولوجية . وقلنا بأن هناك زمنا رابعا ينقسم إلى عصرين . عصر البليستوسين أو الجليدى ، والأخير RECENT أو ما بعد الجليد . ولم يتفق العلماء على عمر هذين العصرين ، فبينما يقدر البعض عمرها بـ ٤٠ ألف عام ، يقرر بعض آخر أن عصر البليستوسين وحده عمره مليون عام ، وأخيرا هناك من يقدر هذا الزمن كله بـ ١٠٠ ألف ، عشرة آلاف منها عمر العصر الحديث .

يتميز هذا الزمن بأمرين : أولها أنه تاريخ أسلاف الانسان وتطورهم ، وثانيهما ، تقدم نطاق الجليد فى أوربا وآسيا وشمال أمريكا ، صوب الجنوب .

ولم يستقر هـذا الجليد على حال واحدة وإنما كان ينحسر ويتسع مما أدى إلى تغييرات أساسية طرأت على توزيع مختلف النباتات ، وأدت إلى هجرات الانسان والحيوان فى البر والبحر . وفى نهاية هذا العصر رجعت الحيوانات التى اتجهت جنوبا صوب الشمال .

فى حفريات هذا العصر عثر الجيولوجيون على بقايا هياكل عظيمة متعددة تقترب من الهيكل الآدمى . وقد تواضعوا على تسمية أكثرها تطورا

باسم « انسان نيندرتال » نسبة إلى اسم المكان الذى وجدت بقايا عظامه فيه ، بحوض الرين فى المانيا . وكان ينتشر فى مناطق متسعة من العالم القديم فى أواخر عصر الجليد . . . وإلى هـذا النوع ينتمى « انسان الجليل » GALILEE- MAN الذى اكتشفت جمجمته فى كهف يجاور بحيرة طبريا.

وكان من تقدم الجليد إلى وسط أوربا وجنوبها بقليل ، أن وقعت بلاد الشرق الأدنى جميعا فى المناطق التى تمر بها الرياح الغربية الغزيرة المطر ، فأدى ذلك إلى نشوء الغابات الكثيفة فى تلك البقاع ، وانتشار الحيوانات فيها .

أما فى وادى الأردن ذو المناخ الاستوائى ، فقد أدت الأمطار الغزيرة إلى قيام الغابات الاستوائية التى ملأتها الأفيال ، وغيرها من حيوان الغاب ، وكانت تتجول فى باطنه وفى المرتفعات على جانبيه مما حققه الأركيولوجيون بعد اكتشاف بعض هياكلها وبقايا أنيابها بالقرب من « جسر بنات يعقوب » شمال بحيرة طبريا . وفى هذا الوقت كان يعيش فيه صيادون من نوع « انسان الجليل » ليست لهم دراية بفنون البناء والتعدين وصنع الخزف والزراعة .

وقبل عشرة آلاف عام أخذ الجليد ينحسر للمرة الأخيرة . فصحب ذلك تحول فى الطقس من استوائى رطب إلى جاف دافىء . وظهرت مساحات الصحارى المتسعة فى أرض كانت من قبل خصيبة خضراء . فجفت بحيراتها وانقطعت أنهارها . وبهذا التحول تغير السكان العائشون فيه فحل محلهم سكان الكهوف . ومع ظهور هؤلاء أخذت تلوح فى

الأفق بوادر العصر الحديث . وبدأ الناس يتعلمون كيف يزرعون ويحصدون ، كيف يشيدون المساكن وينتجون .

وبدأت قصة الحضارة فيه ....

العصر الحجرى

قبل أن تخترع الكتابة ، كانت الحضارة تدرج فى مهدها فى قلب هذا الوادى وفى التلال المطلة عليه . فعرف ساكنوه كيف يصنعون أسلحتهم من الصوان المسوّى ، وكيف يقطعون الحجارة ، ويستغلون مبدأ الرافعة ويحملون به الأحجار الثقيلة . تركوا الكهوف وصاروا يشيدون المنازل ويزرعون الأرض على تخوم الأغوار معتمدين على ماتجود به أمطار السماء

وفى العصر الحجرى المتوسط(١) تزايد ساكنوه(٢) ، واشتد ضغط حاجاتهم على محاصيلهم القليلة ، فعرفوا كيف يستغلون مياه الأنهر والأودية على جانبيه لرى الأرض ، فعرفوا الزراعة سقيا ، كان هذا منذ نحو ستة آلاف عام، بل قبل ذلك،فى غور الرامه والكفرين وفى دلتا الزرقاء وفى

---

(١) MESOLITHIC أو NATUFIAN

(٢) يقرر ج . ا . سميث . أن وادى الاردن ما كان آهلا بالسكان وان خرائب حقوله البائدة تبرر نعت التوراة له « بالبريه ». ويرجع ذلك لشدة حرارته ، وانتشار الوحوش الفاتكة ، والاوبئة القاتلة فيه ، وقد تصدى الدكتور ن . جلويك لتفنيد هذا الزعم ، مقررا أن حرارته محتملة ، تطاق . بدليل أن معظم ساكنيه اليوم يظلون فيه طول العام . وان الاصابة بالاوبئة فيه ليست أشد منها فى المرتفعات على جانبيه . وان الوحوش الكاسرة انقرضت منذ أمد طويل . وأخيرا أنه بتقدم أساليب البحث صار فى الوسع أن نقتبع حضارته وتأهله بساكنيه فى ثنايا الماضى السحيق . بدقة ويقين . بل أنه كان آهلا بساكنيه قبل أن تسكن جبال فلسطين وشرق الاردن لاول مرة بآلاف السنين .

أنحاء مختلفة من الوادى ، من طبرية إلى أريحا ومن اليرموك حتى البحر الميت ... زرعوا القمح والشعير وعنوا بأشجار النخيل .

ظلت هذه الحضارة عشرين قرنا لكنها لم تلبث ان انهارت أمام هجمات بدو الصحراء فى بداية الالف الرابع ق . م . لقد كان الصراع بين البدو المتنقلين والفلاحين المستقرين ، بين المرعى والحقل ، جزءا من كفاح الانسان ضد الطبيعة فى هذا العهد وكان الوادى يتلق سادته الجدد الذين كانوا يتحولون إلى فلاحين ينتظرون نفس المصير .

غير أن أنفاس الحضارة لا تموت ، فلم تلبث أن هبت فى أرجاء الوادى فعاودت الحياة مدنا مثل أريحا وبيسان منذ ٣٥٠٠ ق . م . وقد ظلت كذلك دون أن تنقطع .

حضارة جديدة

بدأ الألف الثالث ق . م . وبدأت معه حضارة جديدة . كانت زراعية خالصة ، عنى أهلها بالخزف فصنعوا طرازا رفيعا منه وأحيوا الرى القديم ، وعرفوا كيف يستفيدون من الأمطار ، لتوسيع الزراعة ، أعظم فائدة ، فأقاموا المدارج على المنحدرات لأول مرة TERRACE AGRICULTURE وظلت حضارتهم تعم أرجاء الوادى العظيم حتى انهارت فجأة فى القرن التاسع عشر ق . م . أمام هجمات غزاة مجهولين قدموا من الصحراء ، أو لعلهم كانوا الهكسوس ، اجتاحوها بغزو كاسح مفاجىء فدمروها وعفوا على آثارها

وهنا صار الوادى ميدان نزاع بين البدو من الشرق والحيثيين والفينيقيين - وكانوا يسيطرون على فلسطين آنذاك - من الغرب . . . وابثت الأمور كذلك إلى أن جاء الساميون . . .

الساميون

منذ بداية القرن الخامس عشر ق . م . أخذ النفوذ المصرى ينتشر فى فلسطين فامتد لحوض الاردن ووصل بيسان . وكانت إذ ذاك مركزا عالميا هاما أتاحه لها موقعها الممتاز وسط الطرق التى كانت تصل بين بلدان العالم القديم .

ولم يمض عليهم نصف قرن(١) فيه حتى أخذت شعوب سامية قادمة من الشرق ، تتجه نحو بلاد الاردن وفلسطين ، فاستقر الكنعانيون فى فلسطين فى الوقت الذى خرج منها ابراهيم وعشيرته فى طريقهم من بلاد الكلدان إلى مصر ، بينما حل فى شرق الوادى الادوميون والمؤابيون والعمونيون والعموريون ، فاستوطن الأولون البلاد جنوبى نهر الحسا وشرق وادى العربه ، واستقر المؤابيون إلى الجنوب من نهر مؤاب شرق البحر الميت ، واتخذ العمونيون من عمان موطنا ، أما العموريون فأخذوا البلاد من نهر مؤاب حتى اليرموك فى الشمال مستحوذين على أكبر جانب شرق الوادى(٢) .

وكانوا جميعا ينتمون إلى الجنس السامى ويكادون ينطقون بلغة واحدة. عنوا بالزراعة وحفظوا التربة وأعادوا بناء المدارج المتهدمة وأنشأوا

---

(١) هذا التاريخ موضع خلاف فبعض المؤرخين يرى أنهم جاءوا فى منتصف القرن الخامس عشر ق . م وبعضهم يرون أنهم جاءوا فى منتصف القرن ١٣ . ق م . وفريق ثالث يرى أنهم جاءوا حوالى القرن ١٢ ق . م .

(٢) لم تظل هذه الحدود ثابتة على الدوام . فى أحايين كثيرة كانت حدود مؤاب تصل حتى نهر الزرقاء . وكانت حدود عمون تصل إلى نهر الزرقاء شمالا وتتقدم غربا حتى الاردن نفسه .

أخرى جديدة وعملوا على الاستفادة من مياه الأمطار والأنهار لأبعد مدى . غير أن جغرافية بلادهم ووقوعها فى تخوم الصحراء معرضة لغزوات البدو على الدوام ، صرفتهم إلى العناية بامور الحرب والاعداد لها فاستحالوا مع الزمن إلى ممالك حربية كانت تنهكها الحروب التى تنشب بينها ، ولم تفكر يوما فى عقد اتفاق أو معاهدة فيما بينها لمجابهة عدو مشترك قد تقذفه الصحراء يوما إليها . . .

وهكذا سارت الأمور حتى مضى القرن الثالث عشر ق . م . إلا خمسة عشر عاما ، عند ما حاول الاسرائيليون أن يتخلصوا من استرقاق فرعون فمضوا بقيادة موسى نحو الأراضى المقدسة فتصدت لهم آدوم وموآب وحالتا دون وصولهم أرض الميعاد ، فلجأ هؤلاء إلى جنوب النقب وتقدموا فيه حتى أطراف الصحراء الأردنية وساروا شمالا متفادين المملكتين السابقتين إلى أن وصلوا عمان وتقدموا لأرض الميعاد وعبروا الوادى بزعامة يشوع عند أريحا ، بعد موت موسى .

وهنا تبدأ قصتهم فيه . .

الاسرائيليون

انتصر اليهود على الكنعانيين وتقدموا غربى الوادى وانتخبوا شاؤول ملكا . وجاءهم الفلسطينيون من وراء البحر وانتصروا عليهم بعد أن قتلوا شاوول فى معركة(١) نشبت فى قلب الوادى قرب بيسان.

وفى عهد سليمان ، حاول أن يستغل الوادى أعظم استغلال لجعله دعامة قوته ومصدر ثراءه الذى ذاعت شهرته فى التاريخ القديم . فمن وادى العربه كان يستخرج النحاس ، ويصهره ويصنعه فى دلتا نهر الزرقاء وحول وادى

---

(١) معركة يابوع

كفرنجه مستغلا قرب الماء ووفرة الوقود فى غابات جلعاد ، كما كان يصهر الحديد الذى اعتاد أن يستخرجه من حوض الزرقاء . وكان الوادى فى عهده يعج بالنشاط الصناعى ففيه صنعت الزخارف المعدنية والعمد التى قام عليها الهيكل الجديد . وإلى جانب الصناعة كانت زراعة القمح تغل غلالا طيبا . كل هذا جعل من الوادى جنة زمانه ومستودع صناعته

بعد سليمان انقسمت دولته إلى شمال وجنوب ، تعرض الشمال لهجمات آشور فى القرن الثامن ق . م . وتعرض الجنوب لهجمات بابل فى القرن السادس ق . م . واكتسحت جيوشهما الوادى زاحفة راجعة فتركته أطلالا .

فى هذا الوقت تقذف الصحراء شعبا جديدا : هم الأنباط فيدفعون الآدوميين إلى الغرب ، ويرتد هؤلاء إلى غربى العربه والميت حيث خلطوا بقايا الاسرائيليين ، وصاروا يعرفون بالايدوميين . وكان الفينيقيون والهوريون يسيطرون على شمالى الوادى ، والعموريون على وسطه .

الديكابوليس وعصر الجريكو رومانه

كانت هجمات آشور وبابل فاتحة لهجمات استعمارية متلاحقة شنتها الامبراطوريات القديمة على بلاد شرق المتوسط جرت معها الوبال على هذا الوادى فأدت إلى اضمحلاله لزمن طويل . فهذه فارس تتقدم فى البلاد وهذا الاسكندر الأكبر يردها خاسرة ويحل مكانها ، جاهدا فى نشر مدنية اليونان ودياناتهم ، ويموت الاسكندر ويحكم الوادى قواده من بعده وتنتشر الثقافة والديانة اليونانية فى أطرافه ، وتنشأ المدن اليونانية

العشرة فيما بينها عصبة الديكابوليس (١) بقصد التغلب على هجمات بدو الصحراء وحمايتها من هجوم البنطيين فى الشمال وتنتشر المستعمرات فى طول الوادى وعرضه وخصوصا عند مصبات الأودية ومنافذ الأنهار وتزدهر المنطقة الواقعة فى الغرب من بحيرة طبريه وتصبح من أكثر بقاع الشرق الأدنى خصبا، وتنشط فيها صناعة النجارة والحدادة والدباغة وصيد الأسماك كما تبرع فى صنع شباكها وفى بناء القوارب وفى هذا الوقت كانت تناظرها فى شرق الوادى «جدارا» إحدى مدن الديكابوليس مطلة على اليرموك من ضفته اليسرى.

وجاء الرومان واسبغوا على الديكابوليس شخصية جديدة جعلتها مفخرة لهم. وكان أهم أعمالهم فى الوادى استغلال غور الكبد الذى يكاد يكون قاحلا اليوم، بحفر مجموعة من الآبار ربطوها ببعضها بطريقة فنية وكونوا منها مجرى طيبا. وكذلك بنوا مدينة الحمه على ضفة اليرموك اليمنى وأنشأوا فيها حمامات عظيمة زودوها بشبكة معقدة من القنوات.

الهيروديون

خلفت روما أثينا فسقط الوادى فى قبضتها عام ٦٣ ق. م. ولم يتفرغ الرومان لحكمه بأنفسهم وإنما حكموه عن طريق أصدقائهم الهيروديين وينحدر هؤلاء من أصل إيدومى ـ بنطى كان منهم هيرود الكبير،

---

(١) تقع تسعة من هذه المدن إلى الشرق من الاردن وواحدة فقط هى بيسان فى غربه أهمها: «بلا» و«جدارا» و«عمان» ـ فيلادلفيا أى مدينة المحبة الاخوية ـ و«دمشق» وكان نظامها السياسى نظام دولة المدنية CITY STATE ذلك النظام الذى عرفه اليونان فى بلادهم من قبل.

وخلفه عدد من أبنائه وأقربائه . وفى عهده كانت المنطقة الواقعة بين اليرموك شمالا ، والموجب جنوبا تكون مقاطعة «بيريا» PEREA شاملة الغور الشرقى والمرتفعات الشرقية ، بينما كانت هناك مقاطعة أخرى فى الشمال تعرف بمقاطعة الجليل . أقام هيرود الكبير سلسلة من الحصون وأنشأ طائفة من المدن تمتد من أريحا إلى بانياس وكان أحب أجزاء المنطقة التى يحكمها إلى نفسه ، الجزء الذى يشمل غور الكفرين والرامه ـ وكان يطل عليهما فى عهده حصن مكابروس من الشرق ـ ومنطقة أريحا فى الغرب . ومما زاد انتعاش بيريا فى هذا العهد أن سكان الجليل فى طريقهم إلى القدس كانوا يفضلون خوض الوادى إلى ضفته الشرقية عند بيسان ويسيرون جنوبا ليعودوا ويقطعوه غربا عند أريحا . وقد أسس أحد أبنائه المعروف « بهيرود أنتيباس » مدينة طبرية ، وسماها نسبة إلى طبريوس الامبراطور . وأنشأ أخرى جديدة فى غور الرامه ، واهتم من بعدهما « هيرود أجريبا » بمدينة بانياس فوسعها وجملها وسماها « قيصرية فيلبى » .

ويرجع إزدهار الوادى عهد الهيروديين إلى اشتداد حركة التجارة بين الشرق والغرب ، إذ كان آنذاك مفترقا لطرق عالمية متعددة ، فهناك أولا الطريق القادم من الهند وأواسط آسيا متجها إلى كل من روما ومصر ، وثانيا الطريق الداخلى الموصل من سوريا لكل من بلاد العرب ومصر وثالثا الطريق الموصل من بلاد العرب إلى ساحل البحر المتوسط عند غزة .

وقد ضاعف من أهميتها الطرق العظيمة التى أنشأها الرومان اتصل الوادى بالمرتفعات على الجانبين .

فى هـذا الوقت كانت العلاقات بين الشرق والغرب غيرها اليوم ، فكانت روما تستورد المصنوعات من الشرق مقابل المواد الأولية التى تصدرها إليه ، وكانت المنتجات التى يصدرها الوادى تتكون غالبا من المنسوجات ، وقد اشتهرت بيسان بصناعة الكتان كما اشتهرت المدن حول مدينة طبريه بصباغة النسيج ، وكذلك كان القطن يزرع حول أريحا ويبعث إلى روما كما كانت تكثر حولها أشجار البالسم وتبعث إلى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية(١) . وهذه المجدل الواقعة جنوبى بحيرة طبريه كانت تصيد السمك وتملحه وتحفظه فى جرار من الخزف ليصدر بعد ذلك إلى روما وأسبانيا ؛ تماما كما تصنع البلاد المنتجة للسمك المعلب اليوم ، وكان الأردن نفسه وبحيرة طبريه يغصان بالأسماك . ولم يفتهم استغلال الملح من البحر الميت وجمع الاسفلت من سطحه لاستخدامه فى أغراض علاجية ، ولطلاء قيعان السفن .

وقد ساير هذا التقدم التجارى تقدم ملحوظ فى المؤسسات الاقتصادية فكانت خزانة الحكومة زمن الهيروديين تمول التجار وتعقد لهم القروض كما كان الهيكل نفسه بمثابة مصرف يقدم قروضا مماثلة .

غير أن التجارة ما كانت وحدها مصدر ذلك الرخاء العميم وإنما فضلا عن ذلك ، ظل الوادى منطقة زراعية تملأه أشجار البلح وحقول القمح وتزهى أشجار الزيتون والعنب على جانبيه ، وكذلك تربية الماشية والأغنام .

---

(١) كان الهيروديون يحتكرون البلسم باسم الدولة

بيزنطه

لم يلبث نفوذ روما ان اضمحل، وأخذت بيزنطه تحل محلها، وحاولت جاهدة أن تحافظ على التراث الذى تسلمته، غير أن عوامل الانحلال كانت أشد من حرصها، فقست الأحوال فى الوادى وارتفعت الأسعار حتى اضطر الملك DIOCLETIAN إلى اصدار تشريع حاول به أن يضع حدا لارتفاع الأسعار الفاحش، وخصوصا أسعار المنسوجات التى تصنعها بيسان. وفى أخريات أيامها اشتد نفوذ البدو فى الوادى، فاضطرت لعقد محالفات فاشلة معهم. وازدادت الأمور سوءا، فأخذ اقتصاد الرعى يحل محل الاقتصاد الزراعى وأهملت المدارج واضطربت أحوال الأمن حتى جاء الفتح العربى.

العرب فى الميدان

نزل الفيض العربى بالوادى عن طريق اليرموك بعد أن انهزمت جيوش هرقل. فتح العرب القدس وزارها عمر عام ٦٢٧ ودانت لهم فلسطين وشرق الأردن جميعا، فبدأت صفحات مجيدة فى تاريخ هذا الوادى سجلها الأمويون ثم العباسيون من بعدهم.

عنى العرب بالتربة، فرمموا المدارج المنهارة وبنوا غيرها، وأنشأوا السدود والخزانات مستفيدين من كل ما وصلوا إليه من معارف وفنون هندسية عمرانية، فضلا عما استحدثوه فيها، تشهد لهم بذلك قبة الصخرة والجامع الأقصى - على الأطراف الغربيـة للحوض كله - والقلاع القوية التى اكتشفت حول بحيرة طبريه والقصر الأموى الذى اكتشف بجوار

أريحا، ويرجع إلى القرن الثامن، حيث وجدت لوحات فنية رائعة تعتبر أجمل ما اكتشف فى الوادى حتى الآن، وغير ذلك كثير.

ومضت الأيام عجلى حتى القرن العاشر حينما يحدثنا المقدسى (١) عن طبريه ومحاصيلها والنخيل والقرى الجاثمة حولها والسمك الذى يملأ بحيرتها، وعن فواكهها وثمارها. ثم عن بيسان ونخيلها والأرز الذى يجود بها، وينتقل إلى أريحا ويصف أشجار النيله والنخيل والموز والبلح والأزهار العطرة، وأخيرا يحدثنا عن المنسوجات القطنية والحريرية وغيرها.

غير أن مظاهر هذا الرخاء العميم كانت تخفى وراءها عاصفة ينذرنا بها الاسطخرى الذى يقول فى نفس العصر « إن مؤاب خصيبة للغاية لولا أن البدو لهم فيها اليد العليا فيهددون كل عمران ».

وهكذا ولما يشرف القرن الحادى عشر على خاتمته، قامت الحروب الصليبية وظلت تستعر قرنين من الزمان، ومضت تاركة وراءها ميراثا ثقيلا من الحسد والكراهية والبغض، وأناخت على الوادى بنير الاقطاع الذى حملته معها من أوربا.

غير أنه كان لها من الفضل أن زادت من اهتمام الغرب بالشرق الذى يبرز بشكل جلى فى القرون التالية، وكانت عاملا جوهريا (٢) فى ميلاد

---

(١) ترجمه DESCRIPTION OF SYRIA, INCLUDING PALESTINE G. LE STRANGE

(٢) يرى البعض أن نشوء الرأسمالية الحديثة يرجع الى الوقت الذى عاد فيه سادة الاقطاع الاوربيين من الشرق بعد أن اعتادوا على استهلاك النفائس المجلوبة من البلاد الشرقية، فلم تعد ترضهم المصنوعات المحلية فصاروا يفرضون على الفلاحين دفع الضرائب والجعالات =

الحضارة الرأسمالية الحديثة .

بعد انقشاع غيوم الحروب الصليبية صارت منطقة الوادى من الناحية الفعلية بمثابة أرض لا يسودها أحد NO MAN'S LAND وإنما تتبع بصورة اسمية بعض السلطنات فى مصر أو العراق ، فأنشأ هذا فراغا كبيرا أخذت تملأه منازعات أمراء الأقطاع وشيوخ القبائل المختلفة فزاد ذلك من وطأة الضرائب الاقطاعية فضعفت الزراعة وأتيحت للبدو فرص طالما انتظروها ، وعمت الفوضى كل مكان فأهملت صيانة المدارج وتبددت المياه هباء ، وزاد الطين بله أن تحولت طرق التجارة العالمية عن بلاد شرق المتوسط إلى المحيط الهندى مارة برأس الرجاء .

وفى هذا الوقت يجىء الأتراك .

الأتراك

دخل الوادى فى حوزتهم عام ١٥١٧ شأن البلاد حوله ، غير أنهم لم يعنوا بعمرانه إذ كان بعيدا عن عاصمة الخلافة ولم يكن له من الأهمية إلا مرور طريق الحج فى تخومه ، ووجود بعض الأماكن المقدسة عند المسيحيين فيه ، فلم يصنعوا شيئا ينهض به من الهوة التى كان يتردى فيها بل فعلوا ما هو أشد وأنكى . أثقلوا الضرائب على الفلاحين واستحدثوا ضرائب عجيبة فى نوعها ، منها ضريبة كانت تفرض على الأشجار(١) بمختلف

= الاقطاعية نقدا ، لا عينا من المحصول ، وذلك ليدفعوا ثمن السلع التى كان يستوردها تجار البندقية وجنوه — ويأبون غير النقد ثمنا لها — فاضطر الفلاحون للانتاج من أجل السوق بدلا من الانتاج للاستهلاك الشخصى فكانت هذه أول لبنة توضع فى صرح الرأسمالية الشامخ « ليسترمنشنسون » فى « نشوء الرأسمالية »

(١) نورد ملك فى « فلسطين أرض الميعاد » صفحة ٥٨ نقلا عن J. DE HAAS فى « تاريخ فلسطين »

أنواعها ، الأمر الذى دفع الفلاحين لاستئصال ما بحوزتهم منها ، دفعا لعبء تلك الضريبة المنكرة .

وخلا الميدان للبدو وأخذت الصحراء تمد رواقها نحو الغرب فوصلت الأردن وجاوزته، وهنا اضطر كثيرون من الفلاحين إلى أن يتحولوا إلى بداة ونصف بداة . واستمر سوء الأحوال . فهـذا « موندريل » MAUNDRELL يمر بغربى الوادى فى أواخر القرن السابع عشر ولا يجد شيئا من تخيله القديم الذى طالما تحدث الرحالون عنه، ولم يرى فى أريحا غير قرية قذرة حقيرة .

أما شرق الوادى فكانت القبائل تتنازع عليه . بنو حسن وعباد والعدوان من ناحية، وفلاحو الشمال من ناحية أخرى وظلت الأحوال كذلك حتى ظهر «بنو صخر» فى نحو منتصف القرن الثامن عشر ، قادمين من شمال الحجاز، واستقروا فى البلقاء بعد أن دفعوا «العدوان» إلى قلب الوادى حيث استقروا فيه حتى اليوم (حول غور نمرين والكفرين والشونه) بينما امتدت الحويطات لأطراف حوض الأردن من الجنوب واستقرت قبائل الكرك شرقى الميت .

وفى أوائل القرن التاسع عشر تقدم ابراهيم باشا فى داخل الوادى ولقى مقاومة عنيفة شنتها القبائل البدوية التى تحالفت ضده، كالعدوان وبنى صخر وغيرها . فانتقم منهم بمهاجمة كثير من المدن وتدميرها .

وفى منتصف هذا القرن وصلت الحياة فى الوادى لأسوأ حال فقد عمّ الرعى محل الزراعة على الجانبين ، وانهزم الفلاحون أمام البدو وعسف الحكام الأتراك وضرائبهم الثقيلة ، وأمام الخدمة الاجبارية تفرض على شعب لم يكن يفقه معنى قوميته ، ويسخر لمصالح قومية غريبة عنه .

رحالة مستكشفون (١)

فى أوائل القرن الماضى نشطت أعمال الاستكشاف فيه ، فهذا المستكشف الألمانى ULRICH JASPER SEETZEN يرتاد شرقى الأردن ارتيادا علميا لأول مرة عام ١٨٠٥ ويكتشف منابع الأردن ، وقيصرية فيلبي ، وجرش وعمان على وجه الخصوص .

ثم يعقبه السويسرى JOHANN LUDWIG BURCKHARDT (٢) فيرتاد الوادى عام ١٩١٢ ، ويذكر كيف مر بطبريه وكانت حقيرة فقيرة ، ويصف بيسان ، ومن جوارها يخوض إلى الغور الشرقى ويصف قتالا كان ناشبا بين عباد وبنى صخر آنذاك .

ويتتابع المستكشفون ، وتكثر بعثات الارتياد منها بعثات فرنسية وأخرى أمريكية وايطالية والمانية . ومع ذلك يظل شرقى الوادى ينتظر من يحسن ارتياده والتنقيب فيه إلى أن يجىء الدكتور « نلسون جلوبك » فيقوم بأكبر عمل فى هذا المجال ويمسح البلاد مسحا أركيولوجيا يتوالى عاما بعد عام بين ١٩٢٣ و١٩٤٣ فيتعرف على البلاد كلها من العقبة فى الجنوب حتى الحدود السورية فى الشمال ، ويحدد مواقع مئات الأمكنة القديمة المجهولة ويحقق أسماءها (٣) .

وهكذا عملوا جميعا على تتبع قصة التاريخ فى هذا الوادى العظيم . وهو أمر نذكره لهم بكل اجلال وتقدير

---

(١) راجع W. F. ALBRIGHT فى كتابه THE ARCHAEOLOGY OF PALESTINE (الفصل الثانى)

(٢) اشتهر بأنه أول من اكتشف بترا ، وكانوا من قبل يحسبون الكرك بترا ، ومن هنا نشأ خلط كثير .

(٣) W. F. ALBRIGHT

الامبريالية الجديدة

فى الربع الأخير من القرن الماضى، نضجت الرأسمالية الغربية وأكتمل نموها ، فأخذت تفتش عن ميادين جديدة تبسط عليها سلطانها وتستغل أموالها فيها . فكانت الصهيونية من وسائلها لتحقيق تلك الغاية . رسمت الصهيونية الخطط الاستعمارية الاعتدائية وبدأت تشيد أساس الوطن المنشود ، والحكومة العثمانية تغط فى سبات عميق .

وفى أوائل القرن العشرين تحسنت العلاقات بين المانيا وتركيا ، وأخذ النفوذ الألمانى يبرز بوضوح، وأنشأ الألمان سكة حديد الحجاز ودرسوا جيولوجية الوادى ، وبدأوا ينقبون عن المعادن ، وعنوا بالبحر الميت عناية فائقة .

وفى أعقاب الحرب الأولى تدول دولة العثمانيين ؛ وتقع فلسطين وشرق الأردن فى حوزة بريطانيا ، وبعد ذلك بأعوام قليلة (١٩٢٢) يشطر الوادى لأول مرة فى تاريخه فتقام حكومة (١) شرق الأردن يرأسها جلالة الملك عبد الله (٢) ، وأخرى فى غربه . وتسلخ فرنسا منابع الأردن عام ١٩٢٨ عن سوريا لتضمها إلى لبنان الكبير .

فى السنوات التالية أخذت الرأسمالية الانجلو - امريكية - صهيونية تزحف ، فاستخلصت عدة امتيازات هامة جعلتها المهيمنة بالفعل على أهم موارد الوادى ومصادر غناه .

---

(١) تبدأ الحدود الغربية لبلاد شرق الاردن من نقطة تبعد ميلين من غربى العقبة وتمر شمالا وسط وادى العربة والبحر الميت ونهر الاردن الى نقطة اتصاله بنهر اليرموك ومن ثم يمر الخط وسط نهر اليرموك حيث يلتقى بالحدود السورية الجنوبية ويسير معها

(٢) سمو الامير فى ذلك الحين

وقبل الحرب الأخيرة بدأ في رسم مشروعات واسعة النطاق تستهدف استعمار الوادي بالمال والرجال، أعمق استعمار(١)

وتنتهي الحرب الأخيرة، فتخرج بريطانيا من فلسطين، وتتركها لليهود فتتقدم الدول العربية متكاتفة، غير أنها تضطر للتوقف ثم للتراجع بسبب تدخل الدول الكبرى من ناحية ولاختلاف المصالح ووجهات النظر بينها من ناحية أخرى.

هكذا ظهر كيان استعماري اعتدائي جديد استحوذ على الجانب الأكبر من غربي الوادي.

* * *

عرفنا تاريخ هذا الوادي العظيم، موجهين التفاتنا، بوجه خاص، إلى نقاط التحول البارزة ذات الأهمية في أساسه الاقتصادي وبنائه الاجتماعي ولكن هل يكفي استعراض الماضي واستخلاص عبرته لمواجهة الحاضر بمشكلاته المعقدة، التي تتطلب حلولا من طراز جديد؟

هنا لا بد لنا من أن نعرف حاضر هذا الوادي: سكانه وما عددهم وكيف يعيشون؟ امكانياته ومدى استغلاله؟ .. إلى غير ذلك مما يعطينا صورة صادقة عن:

وادي الأردن اليوم

---

(١) راجع القسم الثالث الخاص بهذا الموضوع

الفصل الرابع

وادى الاردن اليوم

أن وصف الواقع مدعما بالاحصاءات الاكيدة أمر ينطوى ـ فى حد ذاته ـ على انارة السبيل أمام علاجه والسمو به

مراجع الفصل الرابع

بالعربية

١ — التقرير الذى رفعته اللجنة الخاصة للامم المتحدة (طبعة حكومة فلسطين)
بشأن فلسطين الى الجمعية العمومية ١٩٤٧

٢ — تقارير دائرة الجمارك والمكوس والزراعة والتجارة الاردنية

٣ — تقارير دائرة الاراضى والمساحة الاردنية — القسم الانشائى

٤ — الجريدة الرسمية للمملكة الاردنية الهاشمية
(عدد ٨٨٠ بتاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٤٦)

بالانجليزية

٥ -- D. WARRINER :
LAND AND POVERTY IN THE MIDDLE EAST.

٦ -- A. KONIKOFF :
TRANS - JORDAN : AN ECONOMIC SURVEY

٧ -- N. BENTWICH : JUDEA LIVES AGAIN.

٨ -- A. BONNÉ :
STATE AND ECONOMICS IN THE MIDDLE EAST

٩ -- E. B. WORTHINGTON : MIDDLE EAST SCIENCE

بالفرنسية

١٠ -- N, MOUTRAN : LA SYRIE DE DEMAIN

الفصل الرابع

وادى الاردن اليـــوم

فى هذا الفصل ، سنعرض للحياة الاقتصادية السائدة فى هـذا الوادى مولين عنايتنا بوجه خاص ، لتبيين مدى التغلغل الصهيونى فيه .

الحياة الاقتصادية

هناك ثلاثة أنماط من أشكال التنظيم الاقتصادى :

أولا – الاقتصاد الصناعى الأجنبى ويتمثل بصورة رئيسية فى شركة البوتاس الفلسطينية ، وفى شركة الكهرباء الفلسطينية .

ثانيا – الاقتصاد المختلط ، الذى يجمع بين الزراعة والصناعة ، ويمثله امتداد المستعمرات الصهيونية وانتشارها غربى النهر .

ثالثا – الاقتصاد المحلى ، وهو اقتصاد مستقر فى الغالب ، تمثله المزارع والقرى التى تزرع زراعة كثيفة ، وتمتد فى الأراضى الزراعية فى الأغوار الشرقية من أسفل الميت جنوبا حتى نهر اليرموك فى الشمال . يضاف إلى ذلك القرى العربية التى يسودها نفس الطابع فى الأغوار الفلسطينية ، واقتصاد الفلاحة والرعى الذى ينتشر فى بعض أغوار الأردن الأدنى حيث يمارس السكان حياة البداوة على الجبال الباردة فى الصيف ويهبطون إلى الاغوار الدافئة أيام الشتاء .

ويعنينا فى هذه الدراسة الطرازين الثانى والثالث ، أما الطراز الأول فنرجأه لقسم تال .

الأراضى الزراعية

ونبدأ الحديث عن أراضى الحوله : وتبلغ سعة الأراضى المنزرعة فى هذه المنطقة نحو ١٢٠ ألف دونم، كما تقدر مساحة الأراضى المهملة حولها (وتغطى أكثرها المستنقعات) . ٧٠ ألف دونم، تحاول استصلاحها شركة يهودية ابتاعت امتياز استغلالها من تجار لبنانيين سبق أن حصلوا عليه فى أيام الأتراك .

وفى الأردن الأوسط والأدنى : تبلغ مساحة الأراضى المنزرعة فى سمخ والحمه وبيسان ٢٨٠ ألف دونم ، بينما تقدر المساحة المنزرعة فى الاردن الأدنى بـ ٥٤٠ الف دونم . وهناك فى هذه المنطقة مساحات تبلغ سعتها ٤٨٠ ألف دونم ، قابلة للزراعة ولكنها لا تزرع حتى الآن لعدم توفر الماء فيها .

وهكذا تبلغ سعة الأراضى المنزرعة غربى الوادى ٩٥٠ ألف دونم ، بينما تصل مساحة الأراضى القابلة للزراعة فيها إلى ٦٠٠(١) الف دونم . وهناك - تبعا لتقديرات(٢) الوكالة اليهودية - أراض سعتها ٤٥٩ ألف دونم

---

(١) يدخل فى هذا التقدير الاراضى القابلة للزراعة فى أراضى الحوله وبيسان وتقدر بـ ١٢٨ الف دونم .

(٢) يرجع الاختلاف فى تقدير المساحات القابلة للزراعة ، إلى الخلاف فى تفسير معنى كلمة « قابلة للزراعة » فبينما تأخذ حكومة فلسطين بتعريف مؤداه « أنها تلك الاراضى الممكن زراعتها وفق الوسائل والرساميل المحلية ، وفى أطار الاقتصاد المحلى السائد =

يمكن استعمارها من جديد . خمسيها فى اراضى الحوله ، وخمسها فى أراضى بيسان ، وخمسيها الأخيرين فى الاردن الادنى .

أما شرق الوادى، فقد بلغت المساحة المزرعة عام ١٩٣٨ ، ٣٠٠ ألف دونم ، منها ٢٠٤ آلاف ترويها الجداول القادمة من الهضبة الشرقية ، بينما تقدر مساحة الأراضى القابلة للزراعة بـ ٤٠٠ الف دونم .

وهناك فى أغوار الصافى والمزرعة والحديثة مساحات واسعة من الاراضى الخصبة ، ليست لدينا المعلومات الوثيقة عن سعتها .

وهكذا يبلغ مجموع مساحات الاراضى المزرعة شرق الوادى وغربه نحو ١,٢٧٠,٠٠٠ دونم ، زرع منها سقيا نحو ٥٢٠ الف دونم ، وتقدر مساحة الاراضى القابلة للزراعة بنحو مليون دونم . وتصل الارض التى يمكن استعمارها من جديد الى نحو ٤٥٠ الف دونم .

المحصولات

أما عن كيفية استغلال هذه الاراضى جميعا ، فنذكر أولا أراضى الحوله التى تنتج القمح والذرة الصفراء ، والخضروات والفواكه ، والنباتات العلفية ، وتمتلأ مستنقعاتها بالـ PEAT (١) وهو مادة حيوية يمكن استخدامها على نطاق واسع فى تسميد تربة بلاد هى أشد ما يكون احتياجا إلى الأسمدة العضوية .

= نجد من الناحية الاخرى من يرى « أنها تلك الاراضى القابلة للزراعة فى نطاق الامكانيات الفنية والرساميل الدولية وفى أطار الاقتصاد العالمى » وبهذا المعنى الاخير يأخذ الخبراء اليهود فى الغالب .

(١) نباتات متفحمة لم يكتمل تحولها لفحم حجرى .

وفى اراضى سمخ وبيسان ، ذات التربة البركانية الخصبة ، أنشأت كثير من المستعمرات اليهودية التى تسير وفق اقتصاد مختلط ، تشترك فيه الصناعة مع الزراعة ، فتنتج الفواكه والحمضيات وتعنى بالدواجن بجانب مستخرجات الالبان وتربية الأسماك . وقد أدخلت فيها مؤخرا زراعة قصب السكر والبنجر .

وتنتشر هذه المستعمرات بين الاراضى العربية ، وتظل كذلك حتى وادى الفارعه حيث ينقطع تقدمها . وهنا تكثر الاراضى العربية فى الغور غير أن معظمها قليل الخصوبة بسبب تغطية الاملاح لكثير منها مما يؤدى إلى تأخر زراعتها . . . وتستمر كذلك حتى البحر الميت فيما خلا أريحا وبعض الأراضى العربية فى شمالها ، وعدد من المستعمرات اليهودية فى جنوبها ، التى تقف كالواحة فى هذه الصحراء القاحلة ، وقد نجح اليهود منذ عهد قريب فى إنشاء عدد من المستعمرات جنوبى أريحا ، بعد أن غسلوا الاملاح عن تربتها باغراقها بالماء المنزوح من الاردن لمدة ستة شهور . وبهذه الطريقة استصلحت الارض التى اقيمت عليها كل من مستعمرتى BIETHARVA و HABUGIN (١) الاشتراكية ، وغيرها .

وتنتج منطقة أريحا ، البلح والموز والخضروات والحمضيات ، فى الاراضى العربية فى الغالب ، فضلا عن تربية السمك التى تقوم بها المستعمرات اليهودية وحدها . والتربة بين أريحا ومنطقة الزور ملحية قاحلة لا يزرع عليها شىء .

أما شرقى الوادى ، فتزرع الارض سقيا لأبعد مدى تصل إليه الجهود

---

(١) أنشأت عام ١٩٤٠ فى مكان يبعد ١ ــ ٢ ميل شمال البحر الميت .

الفردية ، وتزدهر الارض بين اليرموك والزرقاء وكذلك فى أغوار البحر الميت حيث تقدمت زراعة الموز فى الاعوام الاخيرة ، وبدأت الحمضيات تلعب دورها فيه ، فضلا عن تقدم أنتاج الخضروات والحبوب على اختلاف أنواعها .

ويبدو التقدم الملحوظ فى محصولات شرق الوادى أيام الحرب من الجدول(١) التالى الذى يبين زيادة صادرات بلاد ، شرق الاردن ، من الفواكه والخضروات الطازجة والتى ينتج معظمها فيه :

السنة	خضروات طازجة		فواكه طازجة	
	الكمية بالطن	القيمة بالجنيه	الكمية بالطن	القيمة بالجنيه
١٩٣٦	١٢١٩	٧٩٤٣	٥٠٦	٤٤٩٢
١٩٤٤	٤٤٨٧	٥٩٣٣٠	٢٨٤٧	١٣٨٨٢١
١٩٤٥	٢٦٣٠	٥٥٦٩٧	١٩٩٠	١٢٨١٢٤
١٩٤٦	٢٩٣٣	٦٠٥٩٥	٢٨٣١	١٨٧٧٦٦
١٩٤٧	٤٥٦٤	٦٤٠٧٧	٣٩١٠	١٤٠٨٨٩

نظام الرى

لا يستفاد من ماء نهر الاردن لاغراض الرى فى الوقت الحاضر ، وسبب ذلك انخفاض مجرى النهر عن مستوى الارض على الجانبين مما يتطلب نفقات فادحة لأمكان ايصاله اليها .

والفلاحون شرقى الوادى يحتاجون الماء لرى أراضيهم ، فيما عدا منطقة صغيرة فى الشمال يكفيها ما تتلقاه من مياه المطر . ويقوم نظام

(١) نقلا عن تقارير (الجمارك والمكوس والتجارة والصناعة) الاردنية .

الرى الآن على الاستفادة من مياه الأودية والأنهار القادمة من الهضبة الشرقية فى أقنية ترابيـة ، بدائية ، سهلة الهدم ، والتحويل ، الأمر الذى يضيع نسبة مرتفعةمن ماءها ويسبب كثيرا من المنازعات . وقد سبق أن اقترح اصلاح هذا النظام ـ أيام المساحة المالية ـ بكلفة بسيطة ما كانت تتجاوز ٥٠ الف جنيها بأسـعار ما قبل الحـرب . ولـكنلم يتحقق شىء من ذلك . وتبلغ كميات الميـاه التى تنقلها هذه الأقنية فى العام ١٠٥ مليون مترا مكعبا . والمشروع المقترح يستنقذ ٥٢ مليون مترا آخر من الضياع بكلفة ½ مل للمتر المـكعب الواحد . هذا فى الوقت الذى تبلغ فيه نفقة المتر المـكعب الواحد فى المستعمرات اليهودية بين ٢ و ٣ ملات .

وقد حفرت عدة آبار فى الأغوار بين الميت واليرموك أمكن تفجر الماء فى بعضها بعد حفر ٦ أمتـار وفى بعضها بعـد حفر ٦٣ مترا . . . وتعطى هذه الآبار مجتمعة كمية قدرها ٢٦ مليون مترا مكعبا فى العام .

ومما يجدر ذكره ، أن الآبار التى كان الرومان يستخدمونهـا فى غور الـكبد بين نهر الزرقاء ونمرين (١) منذ ألفى عام أمكن إعادتها ثانيةوهى لم تزل تمد تلك المنطقة بالماء حتى اليوم .

أما فى الجنوب ، فى غور الصافى فقـد جُرّت مياه نهر الحسا فى عدة أقنية(٢) توصل إحـداها الماء الذى يباع لشركة البوتاس على اعتبار أنه يفيض عن حاجات الفلاحين . وتبين الاحصائية التالية مقدار الـكميات التى حصلت عليهـا الشركة والمبالغ التى دفعتها فى أعوام مختلفة الى أن قطعت المياه عنها فى ٢٧ أذار ١٩٤٨ :

---

(١) راجع صفحة ٦٢

(٢) زادت مساحة الاراضى السقى فى هذهالمنطقة نتيجة ذلك بنحو ٢٠ و ٠

السنة	الكمية بالمتر المكعب	القيمة بالجنيه
١٩٤١	٩,٦١٧,٠٠٠	
١٩٤٣	٧,٧٧٨,٨١٠	٣٢٩١
١٩٤٥	٣,٣٨٠,٥٥٥	١٠١٩
١٩٤٨	-	٣٨٦

هذا فى شرق الوادى ، أما فى غربه فتوجد فى مناطق الاردن الأوسط شبكات متعددة من الأقنية وعدد كبير من الآبار الارتوازية . معظمها فى الأراضى اليهودية . ومياه معظم الينابيع فى مختلف أنحاء غربى الاردن تحملها أقنية اسمنتية إلى الأراضى التى تحتاج إليها ، فتتفادى بذلك ضياع الماء فى أرض أشد ما تكون احتياجا إليه . وهذا أمر ليس له نظير فى الجانب الآخر منه(١)

حقوق الرى وملكية الماء

نصوص القانون العثمانى هى المعمول بها فى تنظيم هذه الحقوق فى فلسطين وشرق الأردن، ويسمح هذا القانون بملكية الماء بصورة شخصية فردية لا تلحق بالأرض التى ترويها ، ومن هنا كثرت المضاربات على حقوق الماء وكثرت المنازعات والمتاعب . بل بلغ من سوء هذا النظام أن أعاق كثيرا من مشروعات الرى آخرها مشروعا حاولت حكومة فلسطين أن تقوم به فى

(١) يستثنى من ذلك السد الاسمنتى الذى أقيم مؤخرا قبيل مصب وادى العرب ، بقصد رفع منسوب مائه ، وصرفه فى قناة من الاسمنت تفريغها ١٫٦ مترا مكعبا فى الثانية .

فى منطقة أريحا لكنها عجزت عن سحب المياه إليه لأن أصحابها يأبون بيعها
لهذا السبب انصرف التفكير يوما، إلى اصدار تشريع يزيل هذه الاشكالات
ويلحق موارد المياه بمالكى الأرض التى تتبعها ، وما يفيض عن ذلك
تمتلكه الحكومة ، غير أنه لم يكتب لهذا القانون أن يتحقق .

وكانت الحال كذلك شرق الوادى ، وللغرض نفسه فكرت حكومة
شرق الاردن عام ١٩٣٨ فى اصدار تشريع يلحق ملكية المياه بالارض
التابعة لها، غير أنه لم يقدم للمجلس التشريعى آنذاك ، وظلت الأمور على
حالها حتى صدور قانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٤٦ المسمى : « قانون ينص على
مراقبة المياه » .

وأهم ما يعنينا فى هذه الدراسة ما تنص عليه المادة السادسة منه عن
أيلولة الحقوق التى لا تثبت لأصحابها ، للدولة . وكذلك ما جاء فى المادة
١٣ من الاشارة إلى أنه « لا يصح تحويل أى حصة تملك فى الماء أو
أى حصة منه منفصلا عن الأرض المخصص لها ولا يسمح باستعمال الماء إلا
على الأرض التى خصص لها مالم . . . »

وهنا يستثنى من هذا التعميم حالات خاصة فيقول « غير أنه يجوز أن
يدخل فى سجل المياه أى حق أثبتته الحكومة بمقتضى المادة السادسة من
هذا القانون دون أن يكون مخصصا لأى قطعة ».

وفى المادة (١٥) فقرة (ج) يشير القانون إلى تقسيم الأرض بشرط
تقسيم حق ملكية الماء بالنسبة لها ما لم يوافق رئيس الوزراء على
خلاف ذلك .

وتشير المادة (٢٢) إلى أنه « يعتبر الماء - فى كل نهر أو سيل أو نبع

أو بحيرة أو أية(١) مجموعة ماء طبيعية ضمن منطقة رى ـ الذى يزيد على الكميات التى دونت كميتها فى سجل المياه ملكا للحكومة ولا يجوز لأى شخص أن يأخذ أو يستعمل هذا الماء إلا وفقا لأحكام القانون ،

وهكذا نرى أن القانون قد وفق توفيقا بعيدا فى التمييز أولا بين الأرض التى يلحقها الماء ، والماء الذى لا يتبع أرضا ، واعتباره الماء الأخير ملكا يسجل باسم الدولة .

غير أن ما يؤخذ على هذا القانون هو تعويله فى التمييز على ما يسجل باسم الأرض وابس على حاجتها مما قد يثير بعض المتاعب . فكثيرا ما يحدث أن يزيد الماء المسجل لبعض الأراضى عن احتياجاتها بينما يقل الماء المسجل لأراضى أخرى عن كفايتها .

وهنا نرى أن علاج هذه المشكلة من السهولة بمكان ، إذ أن هناك حدا فنيا لا تتعداه حاجة الدونم من المياه مهما كان نوع محصوله كما أن هناك حدا لا ينبغى أن تنخفض دونه ، وهكذا يبدو أن فى متناول الحكومة عن طريق خبرائها أن تصل لمقياس مناسب ، حسب الأحوال ، بدلا من ترك الأمر حسب ما هو مسجل .

نظام الامتلاك

تتعدد أشكال الملكية فى الوادى ، فمنها ما يرجع إلى ما نصت عليه الشريعة الاسلامية وقننه القانون العثمانى الصادر عام ١٨٥٨ (٢) . ومنها أشكال

---

(١) أشارة الاعتراض غير واردة فى النص رأينا أن نوردها لسهولة الايضاح

(٢) ينص هذا القانون على خمسة أشكال للامتلاك :

(ا) الاراضى الملك (ب) الاراضى الاميرية (ج) الاراضى الموات

(د) الاراضى الوقف (ه) الاراضى المتروكة

لم ينص عليها ذلك القانون . وفى معالجتنا لهذا الموضوع نتحدث أولا عن نظم الامتلاك شرقى الوادى ثم نتحدث عنها فى غربه . فهناك شرقى الوادى من نظم الملكية سبعة أشكال :

أولا - أملاك الخاصة الملكية الهاشمية وهى أراض منحها المجلس التشريعى الأردنى بين أعوام ١٩٣١ و ١٩٣٧ ، منها ٥٠٧٧٣ دونما فى غور الكبد (١) و ٤٢٧٤ فى غور المندسة .

ثانيا - الأراضى الاميريه وهى التى تمتلكها الحكومة ، وقد باعت (٢) جانبا كبيرا منها بأسعار اسمية زهيدة تشجيعا لاستصلاحها ، ولكن بشرط أن يتجاوز المستصلح منها ⅔ فى غضون خمسة أعوام ينال بعدها أصحابها حق الملكية الكامل فيها .

ثالثا - أملاك الدولة الدومينية وهى الأرض التى تستغلها الحكومة بنفسها كما يستغل الأفراد ممتلكاتهم، ومثلها بعض مناطق الغابات فى أطراف الوادى وغيرها . ومن هذه الأرض أيضا باعت الحكومة مساحات بأسعار زهيدة وذلك بقصد تشجيع استصلاحها .

من هذين النوعين حصل عدد كبير من الأثرياء وكبار الموظفين على مساحات متسعة، منهم من استصلحها فامتلكها ومنهم من امتلك جانبا منها

رابعا - الأراضى التى تمتلكها بعض القبائل ملكية مشتركة كما هو الشأن فى أرض قبيلة العدوان (٣) التى حصلت عليها عام ١٩٣٠ ومساحتها

---

(١) وكل أمر استصلاح هذه الارض لاحد المموّلين الفلسطينيين السيد عمر بركات، غير أننا علمنا بأنه لم يستصلح غير مساحة تتراوح بين ٤ - ٥ آلاف دونم منها

(٢) بلغت قيمة مبيع أملاك الدولة فى «شرق الاردن» ٦٣١٧ جنيها عام ٤٦/٤٧ و ٢٥٦٨ جنيها عام ٤٧/٤٨ بينما بلغت ايجارات التفويض فى السنوات نفسها ٤٢٥ جنيها و ٤٢١ على التوالى

(٣) كونيكوف

١٠٨ آلاف دونم سجلت باسم القبيلة لقاء رسوم تسجيل قدرها ٢٧٦٦ جنيها . وقيل يومها أنها كانت أراض تمتلكها الحكومة

خامسا - الأراضى المشاع وهى شكل من أشكال الملكية شبه الجماعية معروفة فى فلسطين وسوريا وتتلخص فى أن تمتلك القرية مثلا ، مساحات متسعة من الأرض ، يعاد فى كل سنة توزيع القطع التى تستغلها كل عائلة توزيعا غير متساو وفقا لحق الملكية التقليدى . وقد قضى على هذا النوع فى معظم أراضى شرق الأردن بعد تقدم عمليات فرز الأرض وتسويتها فيما خلا هذا الوادى الذى بدأت أعمال التسوية (١) والفرز فيه عام ١٩٤٨

سادسا - الأراضى التى تستأجرها شركات الامتياز فهناك مساحة قدرها ٧٥ ألف دونم استأجرتها شركة البوتاس الفلسطينية بايجار اسمى وفق شروط الامتياز الممنوح لها . ونميل لاعتبارها فى حكم المملوكة لها طول مدة الامتياز . وقد يشبه هذا ما سمعناه عن مساحة مماثلة يمتلكها أصحاب شركة الكهرباء الفلسطينية فى الغور الشمالى تجاه منطقة امتيازهم .

سابعا ، وأخيرا تلك الأراضى التى يمتلكها الأفراد امتلاكا حرا - وهى الأراضى « الملك » وتناظر ما يعرف فى انجلترا بالـ FREE HOLD LANDS - ومن بينهم فلاحين وممولين اشتروا منهم مساحات متسعة .

وهنا نرى أن نشير إلى أنه لم تنشأ بعد شركات للاستغلال الزراعى

---

(١) تلاحظ D. WARRINER فى كتابها « الارض والفاقة فى الشرق الاوسط » أن أعمال تسوية وفرز الارض فى شرق الاردن تعتبر أسرع وأنجح مثيلاتها فى بلدان الشرق الاوسط جميعا .

فى هذا الوادى فيما عدا «شركة وادى الأردن الزراعية المحدودة» التى أسسها منذ وقت قريب طائفة من رأسماليي عمان برأسمال قدره ٢٠٠ ألف جنيه بقصد الحصول على بعض أملاك الدولة الأميرية والدومينية بإيجار أسمى لاستصلاحها واستيراد المواد الصناعية اللازمة لهذا الغرض، وتسعى الشركة الآن للحصول على أرض سبق أن أجرتها الحكومة لأحد الممولين الفلسطينيين وتقدر مساحتها بنحو ١٥ ألف دونم استصلح منها ذلك الممول نحو ألف دونم فقط فاستعادت الحكومة الباقى.

أما فى غرب الوادى فهناك أنواع مماثلة الأشكال المتقدمة (١) فضلا عن الأراضى التى يمتلكها اليهود وبعض الأراضى التى يطالب (٢) بها ورثة السلطان عبد الحميد.

الاستعمار اليهودى

مر التوسع اليهودى فى الوادى بمراحل أربع:

المرحلة الأولى (١٨٧٨-١٩٠٢)

بدأ التوسع اليهودى فى هذه المرحلة بمجهودات البارون روتشيلد الذى أنشأ مستعمرة «روشفانا» فى الجليل الأعلى على مساحة قدرها

---

(١) تمتلك شركة الكهرباء الفلسطينية ١٥ ألف دونم

(٢) هناك أراض واسعة سبق أن سجلها باسمه السلطان عبد الحميد، لكنه لم يلبث أن تنازل عنها للخزينة العثمانية فى أول عهد الدستور. وفضلا عن ذلك هناك أملاك خاصة سجلت باسم بعض أفراد العائلة السلطانية هى موضع النزاع وتقدر مساحتها بنحو ٣٦ الف دونم من أراضى أريحا و ٣٤٠ الف دونم من أراضى غور طبريه وبيسان. راجع:

LA SYRIE DE DEMAIN PAR N. MOUTRAN, 1916

٦٢٠٠ دونم عام ١٨٧٨، وكذلك مستعمرة «زوبيد» بعد ذلك، على مساحة قدرها ١٨٨٠ دونم. ومن بعده أنشأت الجمعية اليهودية الباريسية مستعمرة بجوار جسر بنات يعقوب عام ١٨٨٤ على مساحة قدرها ٢٠٠٠ دونم. ثم يتقدم النشاط اليهودى فى هذا الوقت ويصل إلى موضع الحدود اللبنانية - السورية اليوم حيث تنشأ مستعمرة «مشمار هايردن» على مساحة قدرها ١٧٦٠ دونم.

ثم لا تلبث الجمعية الباريسية اليهودية أن تضاعف جهودها فتحصل فى عام ١٨٩٢ على مساحة قدرها ١٠ آلاف دونم فى قرية «المطله» الواقعة على الحدود اللبنانية-السورية اليوم، وعلى مساحة أخرى قدرها ١٠٠ الف دونم فى عدة قرى عند جبل «حرمون»، وعلى مساحة ثالثة بلغت ١٠٠ الف دونم أخرى فى غربى(١) «الجولان» المطله على الأردن وطبريه من الشرق

فى هذه المرحلة يحاول اليهود الاتفاق مع السلطان عبد الحميد على تسهيل تسللهم فى الأراضى الفلسطينية ويتعهدون له مقابل ذلك(٢) بتخفيض فوائد دين الامبراطورية العثمانية كله من ٠,٠٤ إلى ٢ ½ ٠,٠ ولكنه يتخوف منهم ويقدم لهم أراض أخرى عوضاً عنها فى الجزيرة الفراتية فتفشل هذه الصفقة.

وفى أواخر هذه المرحلة أسس اليهود المنظمه الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧

المرحلة الثانية - (١٩٠٢ - ١٩٢٠)

وتتميز بامتداد المستعمرات الصهيونية نحو الجليل الأدنى بإشراف جمعية الاستعمار اليهودية الفلسطينية P. J. A. C. وبابتداء الاستعمار المنظم بعد إنشاء الصندوق القومى اليهودى J. N. F. عام ١٩٠٢. وفى عام ١٩٠٨ أقام اليهود

---

(١) و (٢) المصدر السابق

مستعمرة « دجانية » أول مستعمرة اشتراكية فى فلسطين على الأرض الخصبة الضيقة الواقعة بين نهر الأردن ونهر اليرموك عند نقطة التقاءهما.

وفى هذه المرحلة استحوذ اليهود على ٥٨٠ الف دونم قرب مرج ابن عامر يدخل جانب كبير منها فى نطاق الوادى، وفى أواخرها أعلن وعد بلفور المشئوم

المرحلة الثالثة - (١٩٢٠ - ١٩٤٨).

وفيها أسس اليهود « الكيرن هايسود » - صندوق فلسطين التأسيسى P. F. F. - وأعلن الانتداب البريطانى وبوشر فى تنفيذ وعد بلفور وبدأت الأبحاث توضع لاستغلال وادى الأردن صناعيا، فكسب اليهود بمعونة أصدقائهم الانجليز والأمريكيين امتيازين ضخمين : توليد الكهرباء من وادى الأردن ، واستغلال موارد البحر الميت ، وأنشأوا مدنا جديدة مثل « كاليا» التى بنوها على ساحل شمال الميت مستغلين مناخه الذى يضارع أعظم مشاتى العالم، وبنوا عدة مستعمرات منها مستعمرة MAOZ فى مقابل دلتا الزرقاء .

وأبان الحرب الأخيرة توسعوا فى إنشاء المستعمرات، وانتاج الأملاح المعدنية من البحر الميت(١) ، وتوليد الكهرباء من الاردن ، وأقاموا هيئة مسلحة استغلوا بها خطط الحلفاء أبشع استغلال مبقين على الحصون المنيعة التى أنشأت على امتداد مرج ابن عامر، عازمين على الغدر والعدوان

المرحلة الرابعة

وتبدأ بانتهاء الانتداب البريطانى فى ١٩٤٨/٥/١٥، ثم تسفر الصهيونية عن أنيابها المسمومة وتتقدم الجيوش العربية ظافرة فى جميع الميادين

---

(١) بلغت كميات البوتاس التى استخرجت من البحر الميت عام ١٩٤٦، ٨٦٠ الف طن .

لترد عاديتها ، لكنها تضطر للتوقف والتراجع أمام ضغط هيئة الأمم وتدخلها بحجة اقرار السلام فى بلاد الشرق الأوسط . وهكذا بسط اليهود سيطرتهم الاستعمارية الحيازية على رقعة تتجاوز مساحتها ثلثى غربى الوادى كله . . . عدوانا نرجو أن يكون إلى حين (راجع خارطة ٦) .

السكان

هناك صعوبات جمة تحول دون الوصول لتقدير صحيح لعددسا كنيه، منها أولا أنه ليس هناك احصاء البتة للسكان فى شرقى الأردن كلها ، وثانيا أنه ليس هناك احصاء اقليميا فى فلسطين وثالثا أن اليهود قد دأبوا على القاء ظل من الغموض على العدد الحقيقى لسكان مستعمراتهم فيه . وفضلا عن هذا هناك عدد لا يستهان به من الفلاحين البداة على الجانبين ينزحون عنه فى فصل الصيف .

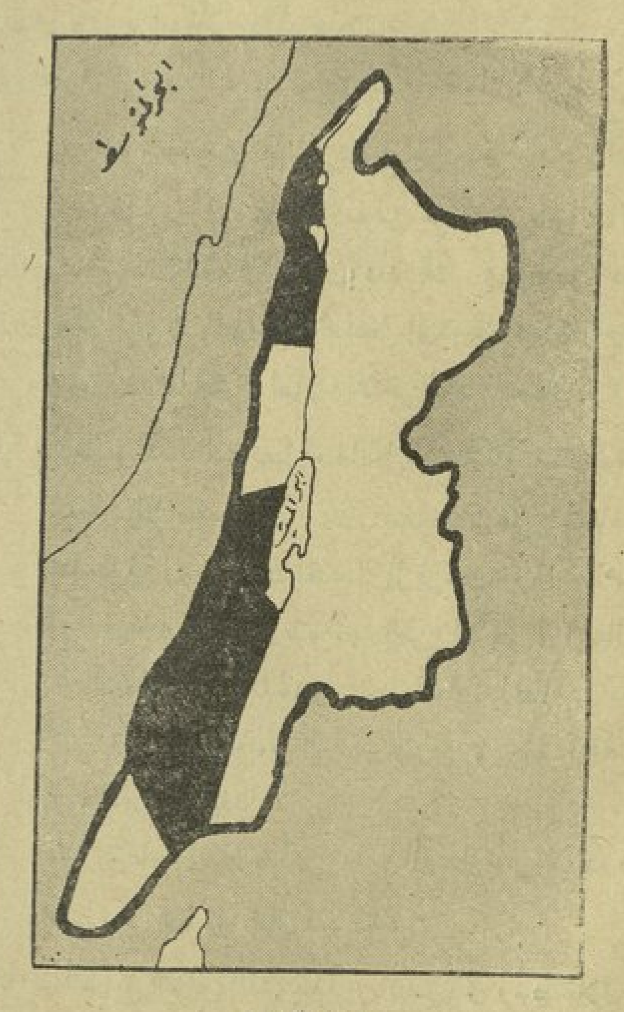
هذه الأسباب جديرة بأن تجعلنا نأخذ بحذر الاحصائيات التى نجدها بهذا الصدد فى بعض الكتب الاحصائية .

فهناك احصاء يقدر عدد سكان المدن غربى الوادى بـ ٦٤ الفا نصفهم من العرب، وسكان الأرياف بنحو ٥٠ الفا منهم ٢٣ الفا من اليهود . والملاحظ أن السكان يتركزون فى اتجاه الشمال ويقلون كثيرا فى الأردن الأدنى، وكلما توغلنا صوب البحر الميت فى الجنوب .

أما شرقى الوادى، فلا بد لنا من الأخذ بتقدير تحكمى لعددسا كنيه فنقدرهم بـ ٥٠ الفا تعيش غالبيتهم فى المنطقة الشمالية .

المواصلات

لا يصلح مجرى الأردن الملاحة ، وهذه حقيقة يمكن ادراكها بسهولة في نهر كبير الانحدار كثير التعرج والالتواء .



(خارطة ٦)

المناطق السوداء يسيطر عليها اليهود في الوقت الحاضر

وأبرز ظاهرة نلاحظها هنا عدم توافر طريق واحدة ممهدة تربط طرفى الوادى من شماله إلى جنوبه ، مع أن هناك عدة طرق تربط شرقى الوادى بغربه وهـذا فى رأينا من الأسباب التى دعت إلى انعدام التوازن فى توزيع السكان بين أرجاءه .

ومن الطرق التى تصل غربى الوادى بشرقه هناك :

أولا - الخط الحديدى الذى يتفرع من سكة حديد الحجاز عند مرورها بمرج ابن عامر قادمة من حيفا ، ثم يتجه شمالا قبل أن يصل بيسان ليجتاز الأردن، بعدذلك ، فى « جسر المجامع » عند التقاء الأردن باليرموك ، ثم يصل إلى درعا وفيها يتفرع إلى خطين يسير أحدهما جنوبا لعمان والآخر شمالا لدمشق .

ثانيا - الطريق المعبد الذى يصل حيفا بكل من طبريه وبيسان، ومن الأولى يتجه شمالا حتى « جسر بنات يعقوب » على الحدود السورية الفلسطينية ، ومن هناك ينشعب إلى فرعين يخترق أحدهما الوادى شرقا ويتجه الى سوريا ويتجه الفرع الآخر إلى الشمال ، غربى الحوله حيث يدخل الحدود اللبنانية مارا بالمطله . أما الطريق الذى يمر ببيسان فيعبر الوادى عن طريق جسر المجامع ليصل إلى « المفرق » فبغداد .

ثالثا - الطريق المعبد الذى يبدأ من القدس فأريحا ويعبر الأردن فى « جسر اللنبى » صاعدا إلى عمان بعد ذلك .

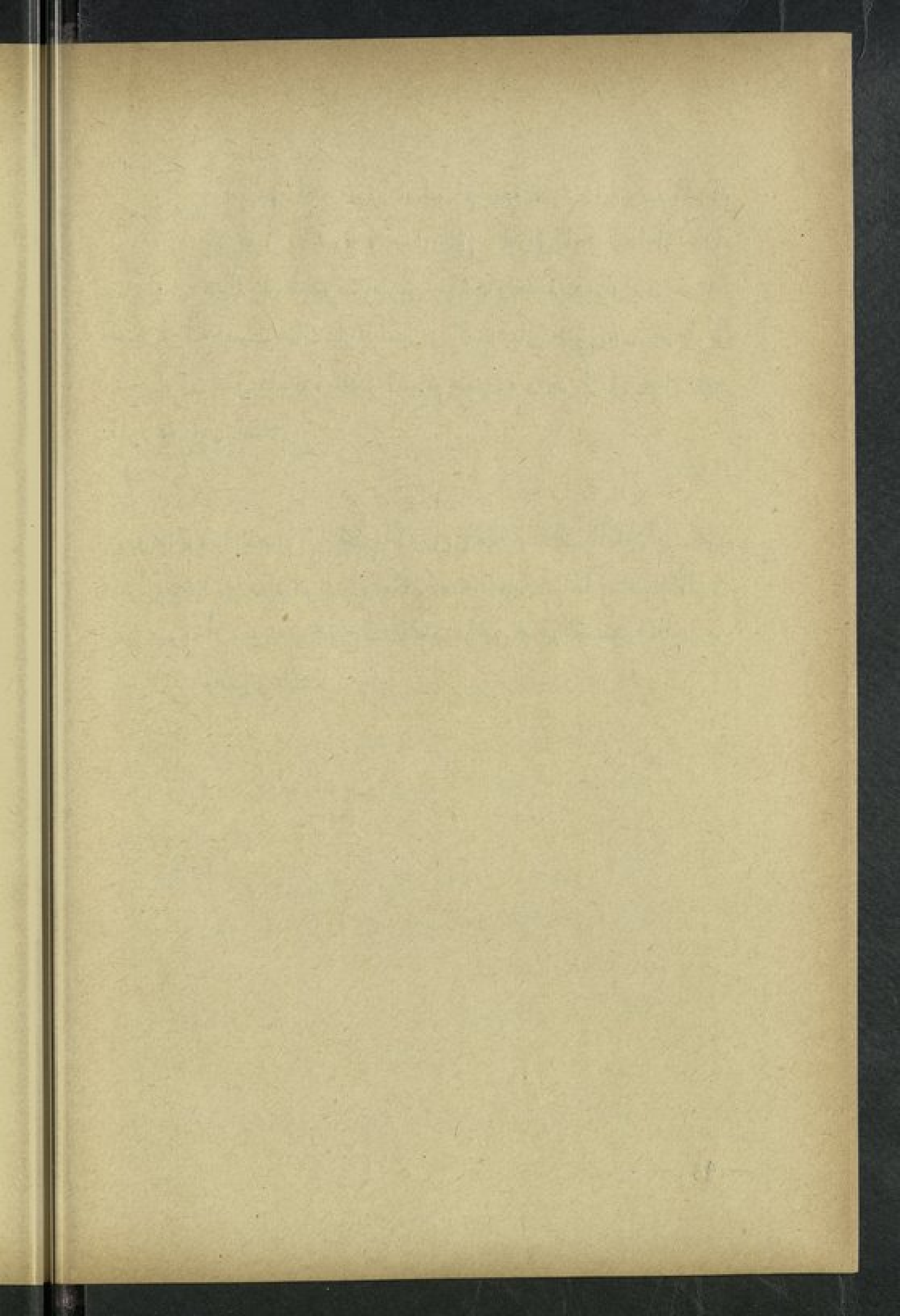
رابعا - الطريق الترابى الذى يبدأ من نابلس، فى وسط تلال السامره

مارا بالنهر فى « جسر داميا » ثم يتجه صوب الجنوب الشرقى حتى يصل « الشونه » حيث يلتقى بالطريق المعبد الصاعد لعمان .

وليس هناك فى الجنوب طريق مباشر يربط شرق الوادى بغربه ، فضلا عن أنه ليست هناك طرقا تسير فى اتجاه شمالى جنوبى غير طريق صحراوى يصل داميا « بجسر الشيخ حسين » وآخر ترابى يصل غور المزرعة بغور الصافى .

* * *

وبختام هذا الفصل نتم القسم الأول من هذا الكتاب ، آملين أن نكون قد أوضحنا من معالم الوادى وامكانياته ، مايعتبر أساسا يستطيع القارىء على ضوءه أن يتبين بوضوح كاف ماسنعرض له فى القسمين التاليين من امتيازات ومشروعات .



القسم الثانى

الامتيازات

مراجع القسم الثانى

بالعربية

١ — الجريدة الرسمية الاردنية الاعداد : (١٧٧، ٢٤٨، ٢٩٣، ٤٣٥)

٢ — تقرير وزارة المالية والاقتصاد (الاردنية) للاعوام ٤٦/٤٧، ٤٧/٤٨

٣ — فلسطين بين مخالب الاستعمار صادق سعد

٤ — حرب البترول فى الشرق الاوسط الدكتور راشد البراوى

بالانجليزية

٥ -- OIL AND PETROLEUM YEAR BOOK 1945

٦ -- PALESTINE :
ASTUDY OF JEWISH, ARAB AND BRITISH POLICIES
نشرته مؤسسة ESCO لفلسطين بأمريكا عام ١٩٤٧

٧ -- M. MACKENZIE : TRANSJORDAN
محاضرة ألقيت فى الجمعية الاسيوية الملكية فى ٣/٤/١٩٤٦

مقدمة

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، اقتسمت بريطانيا وفرنسا أملاك الدولة العثمانية فى بلدان الشرق الأدنى . فنالت فرنسا الانتداب على سوريا ، ونالت بريطانيا الانتداب على فلسطين وشرق الاردن وغيرها . حكمت بريطانيا فلسطين حكما استعماريا مباشرا هادفة من وراءه إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين تحقيقا لوعد بلفور المشئوم . أما شرق الاردن فقد أنشأت فيها إدارة مستقلة (١) وتعاونت على حكمها مع جلالة الملك عبدالله (٢)

بعد أن فرغت بريطانيا من وضع هذه الخطوط الأساسية موضع التنفيذ ، وقضت على المعارضة التى ثارت فى وجهها لتنكرها للدوائق التى سبق أن قطعتها للمغفور له جلالة الحسين ، انصرفت إلى تثبيت أقدامها فى هذه البلاد ، واستغلال مواردها وتوظيف رؤوس أموالها فيها . وكانت أهم موارد الثروة المعروفة فى هذين البلدين آنذاك تقع فى قلب الوادى :

أملاح البحر الميت ، واستغلال انحدار مجرى الاردن لتوليد الكهرباء . فتمنح حق استغلالها لشركات أجنبية يشترك رأس المال البريطانى فيها بنصيب كبير . ثم لا تمضى سنوات حتى تأخذ شركات البترول المختلفة فى استغلال حقوله فى العراق وايران وتبدو حاجتها لمد أنابيب تحمله الى ساحل البحر المتوسط فتمنح حكومة شرق الاردن المنتدبة امتيازين لهذه الغاية يمران من قلب هذا الوادى .

---

(١) فى ايلول ١٩٢٢ قدمت بريطانيا مذكرة لعصبة الامم تبين فيها حدود شرق الاردن المعروفة وتستثنيها من تطبيق وعد بلفور .

(٢) سمو الامير فى ذلك الحين

وهكذا يشتمل الوادى على أربعة امتيازات يضاف إليها امتياز سبق أن منحته الحكومة العثمانية لاستصلاح أراضى الحوله .

وفى هذا القسم سنعمد إلى بحث هذه الامتيازات الخمسة(١) ونعنى بها :

أولا ـ الامتياز الممنوح منذ عهد العثمانيين لاستغلال أراضى الحوله .

ثانيا ـ الامتياز المعطى لشركة الكهرباء الفلسطينية بتاريخ ١٩٢٩/٣/٥ والذى يخولها حق توليد الكهرباء من مياه الاردن وروافده وبيع القوة الكهربائية فى فلسطين وشرق الاردن .

ثالثا ـ الامتياز الذى حصلت عليه شركة البوتاس الفلسطينية لاستغلال أملاح البحر الميت بتاريخ ١٩٣٢/٩/١٦

رابعا ـ الامتياز الممنوح لشركة البترول العراقية I. P. C. بتاريخ ١٩٣١/١/١١ ويعطيها الحق فى تمرير أنابيب بترولية عبر الاراضى الاردنية لتصل إلى مكان ما على البحر المتوسط .

خامسا ـ الامتياز الممنوح لشركة الزيوت الانجلو ـ ايرانية المحدودة بتاريخ ١٩٣٣/٩/٢٦ ويعطيها حق تمرير انبوب بترولى عبر الأراضى الاردنية ليصل إلى مكان ما على البحر المتوسط .

---

(١) كنا نود أن نتطرق للحديث عن استئجار شركة الفوسفات الاردنية بعض الاراضى الاميرية لتعدين الفوسفات . غير أننا علمنا أن هناك جهودا تبذل لتنظيم امتياز لها فآثرنا أن نمسك الحديث عنها إلى أن تعلن نصوص هذا الامتياز . وكذلك لم نتحدث عن الامتياز الممنوح لشركة البترول العربية عام ١٩٤٦ لعدم تأكدنا من مرور الخط الذى تنتوى أن تمده فى الوادى .

أولا – امتياز أراضى الحــوله

يرجع العهد بمنح هذا الامتياز إلى أيام الحكم التركى . فى حزيران ١٩١٤ منحت الحكومة العثمانية لـ « محمد عمر بيهم » والممول اليونانى « ميشيل سرسق » امتيازا يعطيهما الحق فى استصلاح أراضى الحوله واستغلالها . وظل هذا الامتياز فى حوزتهما دون أن يباشرا أى اصلاح فيها حتى عام ١٩١٨ حينما تكونت شركة زراعية سورية لاستغلال هذه المنطقة ابتاعت ذلك الامتياز. وظل الامتياز لدى الأخيرة إلى أن ابتاعته منها شركة « توسيع الاراضى الفلسطينية » اليهودية عام ١٩٣٤

شركة توسيع الأراضى الفلسطينية

PALESTINE LAND DEVELOPMENT CO.

أسسها الصهيونى العتيق A. RUPPIN فى عام ١٩٠٨ . وقامت بانشاء طائفة من المستعمرات اليهودية فى شمال فلسطين أشهرها مستعمرة « دجانيه » التى أُنشئت فى نفس العام بجوار « سمخ » على ساحل بحيرة طبريا .

اشترت الشركة الامتياز ، ومساحة المنطقة التى يشملها ٤٤ ميلا مربعا ، لقاء ١٩٢ الف جنيه ، وبادرت إلى استصلاحها غير أنها لم تنجز غير نسبة ضئيلة منها. ويرجع البطء فى استصلاحها إلى أنه يتطلب مبالغ فادحة تنفق فى إنشاء شبكة متسعة للرى ، واستحداث نظام واسع للصرف لتجفيف المستنقعات ، ينطوى على تعميق مجرى النهر وتوسيعه لمسافة ثلاثة أميال أسفل بحيرة الحوله .

وقد توقفت أعمال الاستصلاح التى تقوم بها هذه الشركة انتظار المشروعات واسعة النطاق، للرى واستصلاح الأرض يطمع الصهيونيون فى القيام بها فى وقت قريب .

ثانيا – امتياز شركة الكهرباء الفلسطينية

يعود التفكير فى منح هذا الامتياز إلى عام ١٩٢٠ حينما عقد اتفاق بريطانى فرنسى «لتسوية مسائل معينة تتصل بالانتدابات على سوريا ولبنان وفلسطين وبلاد ما بين النهرين».

وتشير المادة الثامنة من هذا الاتفاق، الذى عقد فى باريس، إلى «تعيين خبراء يكون لهم مطلق الحرية فى بحث استخدام مياه اليرموك وروافده، والأردن الأعلى لأغراض الرى وتوليد الكهرباء بعد سد احتياجات المناطق الخاضعة للانتداب الفرنسى واستخدام الفائض منها لمصلحة فلسطين»

ومن هنا تبدو فى الاتفاق نية السماح لفلسطين بأن تستفيد من مياه الأردن واليرموك وروافدها، الواقعة فى خارج حدودها.

وتأتى الخطوة التالية بتأسيس شركة الكهرباء الفلسطينية.

شركة الكهرباء الفلسطينية

أسسها مهندس يهودى روسى الأصل «بنحاس روتنبرغ» فى فلسطين عام ١٩٢٣ برأسمال قدره مليون جنيه. وقبل أن يتم تسجيل الشركة بصورة رسمية، أجرى مؤسسوها مباحثات مع الحكومة البريطانية لاستغلال مياه الاردن لتوليد القوة الكهربائية. وكان من نتائج ذلك أن أثير طلبهم فى مجلس العموم بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٢٢/٧/٤

وهنا تبدأ الخطوة الثالثة إذ يلق المشروع معارضة شديدة تكاد تقضى عليه، لولا أن يؤيده الاستعمارى العجوز تشرشل فيوافق المجلس على طلبها ويشترط ألا يقل رأسمالها عن مليون جنيه يدفع منه ٢٠٠ الف جنيه على الأقل فى غضون العامين الأولين لمباشرة عملها.

وقد أثار اعطاء الامتياز لهذه الشركة الأجنبية سخطا شديدا فى فلسطين وشرقى الاردن . فاستنكره المؤتمر الاقتصادى العربى المنعقد فى عام ١٩٢٣ . غير أن المشروع يمضى فى طريقه فتحصل الشركة على الامتياز بصورة رسمية عام ١٩٢٦ .

فى هذا الوقت يتضاعف رأسمال الشركة ، فتشترك فيهـا رساميل أمريكية وبريطانية كبيرة . ويصبح للبريطانيين فيها نفوذ قوى يتجلى فى تكوين غالبيـة أعضاء مجلس الادارة ، وفى اندماج الشركة مع بعض مكاتب استثمار الأموال فى لندن . ويتجلى النفوذ الأمريكى فى مساهمة شركة الاقتصاد الفلسطينية(١) بـ ١٣٤ الف دولار فيها .

نشطت الشركة فى القيام بأعمالهـا وما ان حل عام ١٩٣٢ حتى أتمت بناء محطة لتوليد القوة الكهرمائية (٢) ، وهى الوحيدة من نوعهـا فى فلسطين ، فى « تل اور »(٣) (نهارايم) عند ملتقى الاردن باليرموك ، مقيمة ثلاثة مساقط (توربينات) تعلو ٩٠ قدما ، وتبلغ قدرتهـا جميعا ١٨٢٦٣ كيلو وات ، واستمرت فى اقامة محطات أخرى فى انحاء متفرقة من فلسطين لتوليد الكهرباء بالبخار والديزل حتى بلغت قدرة جميع محطاتهـا فى فلسطين ٨٩٢٠٠ كيلو وات عام ١٩٤٤ يتولد خمسها من مساقط الاردن وخمسيها بالبخار والبقية بالديزل . . .

ويتجلى النجاح السريع الذى أحرزته ، فى تضخم رأسمالها الذى وصل

---

(١) شركة أمريكية تأسست عام ١٩٢٦ وصل رأسمالها الى ٣٫٥ مليون دولار فى عام ١٩٣٩

(٢) HYDRO - ELECTRIC

(٣) هدمتها المدفعية العراقية أثناء الحرب الفلسطينية الاخيرة .

الى ٤,٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩، وفى ارتفاع أرباحها فوزعت عام ١٩٤٣ ربحا قدره ٧,٨ ٪ فضلا عن ٢٩ ½ ٪ حوالت للاحتياطى .

الامتياز

عقد هذا الامتياز بين المندوب السامى لفلسطين وبين الشركة فى ١٩٢٦/٥/٣ ومدته ٧٠ عاما ، لاستخدام مياه نهر الاردن واليرموك وروافدهما لتوليد الكهرباء من القوة التى تستخرج من هذه المياه وتوزيعها داخل فلسطين وشرقى الاردن ،

وأهم نصوص الامتياز المواد التالية :

١ - للشركة وحدها أن تستعمل مياه الاردن وحياضه وروافده بما فيها اليرموك لتوليد الكهرباء (المادة ٣ ا و ب)

٢ - للشركة أن تقيم لأقصى منسوب سدا لخزن مياه بحيرة طبريا ولها أن تسحب مياهها لأدنى حد ، وأن تجرها بالاقنية إلى المحطات الكهربائية وأن تحول مياه اليرموك وروافده إلى الأقنية المذكورة أو إلى بحيرة طبريا لنفس الغاية (المواد ٨ و ٩)

٣ - على المندوب السامى أن يحرم استعمال هذه المياه لأية أغراض إذا أدى ذلك لخفض كمية الماء اللازمة لتوليد القوة الكهربائية (مادة ١١ - ١)

٤ - للشركة الحق فى إنشاء محطات ومراكز لتوزيع القوة الكهربائية فى شرقى الاردن باستثناء مناطق بلديات عمان والسلط والكرك، بشرط موافقة حكومة شرقى الاردن، على أن لا تمتنع - أى الحكومة - عن

الموافقة بدون أسباب معقولة (المواد ١٤ ، ١٨ ، ٥٥) .

٥ - تتعهد الشركة بأن تورد لأصحاب الأرض والمستهلكين فى منطقة الامتياز كميات المياه اللازمة التى كانوا يستخدمونها قبل اعطاء الامتياز . وإذا تعذر ذلك عليها ، أن تقدم تعويضا يقدره المندوب السامى عند الاختلاف (مادة ١١)

٦ - تدفع الشركة رسوما جمركية على كل ما تستورده، غير أنه يصح لها أن تؤجل دفعها ، كما أنها لا تدفع أى ضريبة أخرى إلا بعد أن تضمن ربحا سنويا صافيا قدره ٠,٠٨ (مادة ٣٦ ، ١)

٧ - إذا زاد ربح الشركة الصافى (١) عن عشرة بالمئة ولم يتجاوز ٠,٢٠ فعليها أن تدفع للمندوب السامى نصف مازيد عن ٠,١٠ أما إذا تجاوزت أرباحها ٠,٢٠ فعليها أن تعطى المندوب السامى جميع الأرباح التى تزيد عن ٠,١٥ (مادة ٣٤)

٨ - المندوب السامى فى نهاية السنة ٣٧ أو ٤٧ أو ٥٧ أو ٦٧ أن يشترى المشروع (المادة ٤٤)

٩ - عند نهاية الامتياز يؤول المشروع ومهماته ومعداته المندوب السامى دون مقابل (مادة ٤٦)

١٠ - فيما لو لم يستهلك رأسمال الشركة خلال ٧٠ عاما لها أن تطالب تجديد الاتفاق لمدة تستهلك رأسمالها فيها ، ولها تمديدها فترة مماثلة أيضا (مادة ٤٥)

---

(١) بعد خصم الاستهلاكات وكافة النفقات وحصة الاحتياطى ، خالصا الضريبة

أهم ما يستلفت النظر فى هذه النصوص :

أولا - اهمال الحكومة الأردنية . فلم تكف الاشارة إلى أن العقد بين المندوب السامى لفلسطين وبين الشركة على أن يسرى فى منطقة الامتياز فى فلسطين وشرق الأردن ، بل أن حكومة فلسطين استأثرت بجميع الأرباح ولم تشركها بأى حصة منها ، مع أن نصف المياه التى تولد الكهرباء تعتبر ملكا لها . ويتجلى هذا الاهمال بشكل بارز فى الطريقة التى وافقت بها الحكومة على تلك الاتفاقية فى ١٩٢٨/١/٢٣ مكتفية بالقول « وحيث أنه من المرغوب فيه جعل الامتياز المذكور نافذ المفعول فى شرق الاردن بقدر ما يؤثر فى شرق الاردن أو يتعلق بها . . . قد سن ما يلى »

ثانيا - الغبن الفادح والاضرار التى تعرض له اقتصادها الوطنى . إذ أن أخصب الأراضى الأردنية تقع فى داخل « منطقة الامتياز » فأدى انخفاض المياه عن مستوى الأرض ٩٠ قدما إلى استحالة رى مناطق واسعة فى الأراضى الأردنية كان من الممكن ريها بتكلفة قليلة ، كما وقفت المادة ١١ كالسيف المصلت فوق أى مشروع تحاول الحكومة القيام به أو أى تحسين تجريه فى منشآت الرى فى تلك المناطق . ويتمثل هذا الخطر بشكل بارز فيما ذكره م . ج . ايو نيدس (١) من أن الامتياز يعتبره من أعجب الامتيازات التى سبق

(١) M. MACKENZIE: TRANS JORDAN

أن منحت ، إذ أنه يعطى الشركة الحق فى استخدام كل موارد الماء على جانبي الاردن لتوليد الكهرباء ، بل الأنكى من ذلك أنه يعطى الشركة الحق فى الحصول على الماء من الجداول التى تروى الأرض فى أى وقت تحتاج إليه ، على أن تقدم التعويض فقط عن الأضرار التى تلحق الأرض التى كانت تسقى وقت منحه ، وهذا معناه أن أية أموال تنفق على توسيع الرى فى هذه المنطقة مهددة بالضياع ،

ثالثا - أنه قيد الحكومة بسلسلة من الالتزامات لا يقابلها أى غنم .

وفى اعتقادنا أن استمرار هذا الامتياز فى وضعه الراهن أمر يجافى العدل بل ينافى السلامة الوطنية . وتصحيح الوضع فى رأينا يتجه الى ناحيتين ، فإما أن تبادر الحكومة إلى استغلال مياه هذه المنطقة فى مشروعاتها المرسومة ضاربة بحقوق الامتياز عرض الحائط، وإما أن تترك الشركة تستمر فى عملها ولكن بشرطين:

(١) أن تساهم الحكومة بنسبة معقولة فى أرباحها .

(٢) أن تشرف إشرافا كاملا على المياه اللازمة لسير العمل وأن تستخدم ما يفيض عن حاجة الشركة الحقيقية فى مشروعاتها .

ثالثا – امتياز استخراج الاملاح والمعادن

من البحـــر الميت

وهنا يبتلع الاستعمار لقمة أخرى فيعطى امتياز استغلال موارد البحر الميت إلى شركة البوتاس الفلسطينية .

شركة البوتاس الفلسطينية PALESTINE POTASH, SYNDICATE

سجلت عام ١٩٢٩ كشركة بريطانيـة برأسمال قدره ٤٠٠ الف جنيه ، وتساهم فيها أموال يهودية وبريطانية وأمريكية(١) وللبريطانيين فيها نفوذ قوى يمثله الماجور T. G. TULLOCH أحـد المؤسسين ، وهيمنة شركة الصناعات الكيماوية الأمبراطورية I. C. I. على سياسة مجلس إدارتها . أما المصالح الأمريكية فتمثلهـا شركة الاقتصاد الفلسطينية(٢) ، التابعة لمجموعة BRANDIES الامريكية ، وتساهم هذه فى رأسمالها بمبلغ ٤٦٥ الف دولار ، وبذلك تعتبر مالكة لأكبر حصة من أسهمها .

وقد حصلت الشركة على هذا الامتياز فى أول عام ١٩٣٠ بعـد أن سبقته مباحثات طويلة . غير أن ذلك قوبل باستنكار شديد فى الأوساط العربية فى فلسطين فاحتج المؤتمر العربى السابع المنعقد فى ١٠ حزيران ١٩٢٨ على اعطاء موارد البحر الميت لشركة أجنبية .

تقدمت أعمال الشركة تقدما سريعا فزادت من أنتاج البوتاس ، بوجه خاص ، كما يتبين من الاحصائية التالية :

---

(١) يعمل م . نوفومسكى أحد مؤسسى الشركة فى الوقت الحاضر على إعادة تمويلها برؤوس أموال أمريكية . . .

(٢) PALESTINE ECONOMIC CORPORATION

السنة	الانتاج بالطن	السنة	الانتاج بالطن
١٩٣٥	١٨١٢٤	١٩٣٩	٦٣٥٢٧
١٩٣٦	١٩٧٩٣	١٩٤٣	١٠٣١٢١
١٩٣٧	٢٩١١٠		
١٩٣٨	٤٧٤٩٦	١٩٤٦	٨٦٢٠٠٠(١)

أما البرومين فكان ينتج كمستخرج اضافى BY - PRODUCT ، ووصل أنتاجه قبل الحرب إلى ٥٥٠ طن، ولا بد أنه تضاعف أثناءها إن لم يزد عن ذلك . والأرقام الأكيدة غير متوفرة إذ اعتبرت سرا حربيا فى ذلك الحين .

وفى أول قيام الشركة ركزت أعمالها فى شمالى غربى البحر الميت حيث أنشأت أحواضا متسعة لتجفيف الماء الذى يحوى الأملاح (٢)، ثم لم تلبث أن أنشأت مركزا آخر لاستخراج الأملاح فى جنوبه . وحصلت بعد ذلك على أرض مساحتها ٧٥ الف دونم استأجرتها لقاء أجر أسمى تحقيقا لشروط الامتياز .

ومما يجدر ذكره أن تكلفة أنتاج الطن الواحد من البوتاس فى أحواضه شمالى البحر الميت عام ١٩٣٨ وصلت إلى ١٩٨٧ ملا بينما كانت تكلفته واصلا لحيفا ٢١٣٣ ملا . وبلغ ثمن الطن منه عام ١٩٤٤ ، F. O .B. فى كاليفورنيا ٢٩ دولارا وفى حيفا ٣٦ دولارا .

---

(١) جريدة السياسة المصرية فى ١٩٤٩/٨/١١

(٢) تدخل هذه الاحواض فى الوقت الحاضر فى المناطق التى يحتلها الجيش العربى الاردنى من الاراضى الفلسطينية .

الامتياز

عقد هذا الامتياز فى ١ كانون الثانى ١٩٣٠ بين المندوب السامى بالنيابة عن حكومتى فلسطين وشرق الأردن وبين شركة البوتاس الفلسطينية .

وأهم مواده :

١ - للشركة الحق فى استخراج الأملاح المعدنيـة والمعادن والمواد الكيمائية من مياه البحر الميت أو تحتها وتجهيزها للبيع فى الأسواق مع الاحتياط لانكماش مياه البحر الميت ففى هذه الحاله يسرى الامتياز على المناطق التى تنكشف منه (مادة ٢ ، ثانيا)

٢ - مدة الامتياز ٧٥ عاما (مادة ٢ ، خامسا)

٣ - تدفع الشركة أجرة سنوية قدرها جنيه واحد تدفع على قسطين . .

٤ - تمنح الحكومة الشركة بناء على طلب كتابى حق استئجار أرض اضافية للمدة الباقية من أجل الامتياز (المادة ٥ ، ١٠ ، ١)

٥ - للشركة الأولوية فى غضون عشر سنوات فى استئجار أى منطقة لا يتجاوز بعـدها عن البحر الميت خمسة كيلومترات (مادة ٥ ، ١٠ ، ٥)

٦ - يحق للحكومة بعـد مضى خمسة وعشرون عاما أن تعرض حق استخراج الاملاح والمعادن . . . على شركات أخرى فيما لو رفضت الشركة قبول هـذا العرض بنفس شروط الامتياز الحالى (المادة ٦ ، ١٠)

٧ - تدفع الشركة للحكومة عوائد تساوى ٠,٠٥ من قيمة ما يستخرج ويباع من كلوريد البوتاس والبرومين وكلوريد المغنسيوم (مادة ١٠، ١٠١)

٨ - تدفع الشركة للحكومة حصة من صافى الربح(١) بنسبة ما يزيد بعد توزيع ربح للمساهمين قدره ٠,١٠ ، فاذا لم يتجاوز المبلغ الزائد ٠,٠٥ كان للحكومة منه ٠,٢٠ ، وإذا تجاوز ذلك كان لها ٠,٤٠ (مادة ١٣ - ١ و ٢ و ٣)

٩ - عند انتهاء مدة الامتياز أو فسخه تنال الحكومة ٠,٤٠ من الاحتياطى (مادة ١٣ - ٦)

١٠ - عند اصدار أسهم تزيد عن ٢٥٠ الف جنيه يجب أن تعرض الشركة للاكتتاب العمومى ٠,٥٠ منها على الأقل ويكون للاردنيين والفلسطينيين الأولوية فى الاكتتاب بخمسها(٢) (مادة ١٨ - ٢)

١١ - للحكومة الأولوية فى الاكتتاب بـ ٠,٢٠ من الأسهم التى تعرض للاكتتاب (مادة ١٥ - ١)

١٢ - إذا فرضت فى المستقبل ضريبة على الأملاح المستخرجه أو

---

(١) مجموع الايرادات بعد خصم نفقات التشغيل والتجديدات والتبديلات والتعميرات وعوائد الحكومة وفائدة السندات ، وأقساط استهلاكها ، وتحويل مبلغ للاحتياطى لا يتجاوز ١٠ ٪ فضلا عن قسط استهلاك رأس المال نفسه

(٢) اذا أصدرت الشركة أسهما بـ ٤٥٠ ألف جنيه مثلا، وجب أن تعرض منها ١٠٠ ألف جنيه للاكتتاب العمومى ، يكون للحكومة الاولوية فى الاكتتاب بـ ٢٠ ألف منها وللشعب فى فلسطين وشرق الاردن الاولوية فى الاكتتاب بـ ١٦ ألف جنيه

صادراتها أو ضرائب أرباح أو دخل جديدة، فما تدفعه الشركة منها يخصم من العوائد والأرباح المستحقة عليها للحكومة (المادة ٢٦)

١٣ - عند انتهاء الامتياز تؤول جميع الموجودات للحكومة (المادة ٢٩ - ٢)

شرق الاردن والامتياز

لعل أول ما يلاحظ على هذا الامتياز أنه أكثر ديمقراطية من سابقه إذ أنه يشير بصراحة إلى أن المندوب السامى ينوب فى العقد عن حكومتى فلسطين وشرق الأردن .

غير أن هذه الاشارة لا تخفى ما ينطوى عليه من غبن فالمادة العاشرة من الامتياز تشير إلى عوائد تدفعها الشركة للحكومة وقدرها ٠,٠٥ وطبعا ينتظر فى مثل هذه الحالة أن تزداد حصيلة هذه العوائد وبالتالى نصيب الحكومة الاردنية منها بازدياد الانتاج . غير أننا نجد الأمر على العكس من ذلك تماما . فبعد أن وصلت حصة شرق الأردن منها منذ أعوام ٢١٥٠٠ جنيها انخفضت إلى ١٥ الف جنيها عام ٤٦/٤٧ والى ١٦٥٦١ جنيها عام ٤٧/٤٨ . هذا مع أن انتاج الشركة يزداد باضطراد ولسنا ندرى من الملوم فى ذلك ، الشركة أم الحكومة . . .

وثمة نقطة أخرى يبدو فيها هذا الغبن وهى قلة نصيبها من الأرباح فلم يكف تأمين ربح لرأس المال المساهم قدره ٠,١٠ مع تجنيبه معظم

أنواع المخاطر، فبخل على الحكومة(١) إذ لم تتجاوز حصتها من المبلغ الضئيل الذى يتبقى بعد ذلك ٠,٣٠ - ٠,٤٠ ، وكان الانصاف يقتضى أن تحصل الحكومة على ٠,٥٠ على الأقل فى جميع الحالات . والأعجب من هذا كله ما انطوت عليه المادة ٢٦ من الاشارة إلى خصم أى ضرائب جديدة تدفعها الشركة للحكومة فى المستقبل من نصيب الحكومة فى العوائد والأرباح .

لقد كان يحتمل أن تخصم هذه الضرائب من نصيب الحكومة فى الأرباح فقط، أما العوائد فأمر لا يحتمل المساومة لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود الثروة القومية واستغلالها ، والشأن كذلك فى الضرائب فهناك من الضرائب ما يعتبر الاحجام عن دفعها ماسا بهيبة الدولة وسيادتها فى الداخل، مما لا يصح التهاون فيه .

ولقد كان العدل يقتضى أولئك الذين ائتمنهم الضمير الدولى على ثروة هذا البلد وزعموا بأنهم عقدوا ذلك الامتياز ، ليراقبوا مصلحة أهالى فلسطين وشرق الاردن ، ألا يبددوا تلك الثروة بثمن بخس

---

(١) قارن نصيب حكومة فلسطين وحدها من أرباح شركة الكهرباء الفلسطينية

رابعا – اتفاق تنظيم مرور الزيوت المعدنية

لشركة زيت البترول العراقية

فى بلاد شرق الاردن

شركة البترول العراقية

تأسست عام ١٩١١ باسم « شركة الامتيازات الافريقية والشرقية المحدودة » ثم اتخذت لها اسما جديدا « شركة البترول التركية المحدودة » عام ١٩١٢ . أما اسمها الحالى فتحمله منذ ١٩٢٩

تقوم هذه الشركة بانتاج البترول ونقله . وعقدت عام ١٩٢٥ اتفاقية مع الحكومة العراقية لم يلبث أن أعيد النظر فيها عام ١٩٣٠ . وفى هذه الاتفاقية نالت حق استغلال احتياطات البترول فى ولايتى بغداد والموصل شرقى نهر دجله فى مسافة قدرها ٣٢ الف ميل مربع لمدة ٧٥ عاما ابتداء من آذار ١٩٢٥ .

بعد أن تفجر البترول فى الحقول العراقية فى تشرين الأول ١٩٢٧ أخذت الشركة تعمل لمد أنبوبين لنقل البترول قدرتهما ٤ مليون طن فى العام . أحدهما يمر بسوريا وينتهى بمدينة طرابلس فى لبنان وطوله ٣١٥ ميل . والآخر يمر بشرق الاردن ، ويعبر وادى الاردن إلى فلسطين ، وينتهى فى حيفا وطوله ٦١٨ ميل . وقد جرى افتتاح هذا الخط الأخير عام ١٩٣٥ .

وتشترك فى تمويل هذه الشركة رساميل دولية متعددة وفق الحصص التالية :

اسم الشركة	الحصة ٪
شركة البترول الانجلو ـ ايرانية (من طريق شركة دارسى للتنقيب)	٢٣ ٣/٤
مجموعة الرويال دوتش ـ شل (من طريق شركة البترول الانجلو ـ ساكسونية)	٢٣ ٣/٤
المجموعة الفرنسية (من طريق الشركة الفرنسية للبترول)	٢٣ ٣/٤
المجموعة الامريكية (من طريق شركة الاستثمار بالشرق الادنى)	٢٣ ٣/٤
شركة المساهمة والاستثمار	٥

وقد سارت أعمال الشركة بنجاح فوسعت مجال نشاطها وضاعفت رأسمالها عدة مرات ، فبينما لم يكن رأسمالها الأصلى ليتجاوز ٥٠ الف جنيه وصل عام ١٩٤٠م إلى ١٤,٥ مليون جنيه . وقد كنا نود أن نورد نبذة عن أرباحها لولا أنها لا تعلنها لغير مساهميها .

الامتياز

عقد بتاريخ ١٩٣١/١/١١م بين حكومة شرق الاردن وشركة البترول العراقية « . . . لأن الحكومة ترغب فى تسهيل المشروع . . . لقاء ماستناله البلاد من الفوائد من المشروع » . . . وأهم نصوصه ما يلى :

١ - للشركة الحق فى إنشاء خط أنابيب أو أكثر وما يتفرع عن ذلك من أعمال الصيانة والتشغيل (مادة ١)

٢ - مدة الامتياز ٧٠ عاما من تاريخ التوقيع (مادة ٢)

٣ - للشركة أن تستورد لشرق الأردن جميع اللوازم والمهمات اللازمة للمشروع وأن تعيد تصديرها بدون دفع رسوم جمركية أو أية رسوم أخرى (مادة ٥)

٤ - لا تفرض أية ضرائب عقارية أو ضريبة دخل أو أى نوع من الضرائب والرسوم إلا على الأرباح الناشئة عن مبيعات منتوجاتها للاستهلاك المحلى . ولا يشمل هذا الاعفاء أرباح أسهم الشركة الموزعه بين الأردنيين أو رواتب الموظفين (مادة ١٠)

٥ - تعفى الطلبات التى تقدمها الشركة للتجار المحليين من رسوم التوريد إذا كانت من مواد هى بموجب هذا الاتفاق معفاة من رسوم التوريد (مادة ٥)

٦ - لا تدفع الشركة ضريبة توريد أو مرور (ترانسيت) أو تصدير أو أية رسوم أو ضرائب أخرى . . . على زيت البترول أو النفط والازوكرايت والغازات الطبيعية سواء كانت خاما أو مشتقة . . . (مادة ٤)

٧ - مراعاة لما يقتضيه المشروع من عدم ايقاف العمل تعطى الحكومة جميع التسهيلات اللازمة فى جميع الأوقات لانتقال

هيئة الشركة ومستخدميها والمواد اللازمة لها على نقاط مبينة على الحدود وتدفع الشركة بالاتفاق مع الحكومة جميع النفقات غير الاعتيادية التى تتكبدها مصالح الحكومة فى تسهيل هذه التنقلات (مادة ٩)

٨ - تؤجر الحكومة الأراضى الأميرية للشركة إذا وافقت على حاجة المشروع إليها . . . وعلى الشركة أن تدفع إيجارا طفيفا عن الأراضى المستأجرة لمد خط أو خطوط من الأنابيب ، أو محطات المضخات أو صهاريج أو مصاف أو منشآت . أما الأراضى التى لا تخص الحكومة ويتعذر الاتفاق مع أصحابها فتتملكها الحكومة على نفقة الشركة . وتسجل الأراضى التى استملكت جبرا باسم الحكومة وتؤجر للشركة ببدل إيجار طفيف لمدة لا تزيد عن مدة الامتياز (مادة ١٥)

٩ - تتعهد الشركة بدفع النفقات التى تتكبدها الحكومة للمحافظة الاعتيادية على الأمن فى منطقة المشروع وعلى مستخدمى الشركة (مادة ١٦)

١٠ - تستخدم الشركة لمقاصد المشروع بشرق الأردن عمالا محليين وإذا لم يكن عدد اللائقين منهم كافيا يجوز للشركة أن تأتى ، بموافقة الحكومة ، بعمال من الخارج لهذا الغرض (مادة ٩)

١١ - عند انتهاء الامتياز تؤول أموال الشركة غير المنقولة وجميع الأشياء الثابتة فى الأرض، الموجودة فى شرق الأردن . . . للحكومة دون مقابل (مادة ٢)

١٢ - للشركة أن تطلب تجديد الامتياز . وتتعهد الحكومة أن تنظر بعطف إلى تمديده و تجديده (مادة ٢)

١٣ - للشركة أن تفسخ هذا الامتياز باعلان تعطيه للحكومة قبل ثلاثة شهور . وإذا تم ذلك فى غضون ٢٥ عاما من تاريخ الاتفاق للشركة أن تنقل جميع الآلات والأبنيةو اللوازم والاموال معفاةمن الضرائب (مادة٢)

١٤ - فى حالة الخلاف بين النصين يسود النص الانجليزى

شرقى الاردن والامتياز

أولا - ما نلاحظه على هـذا الامتياز ، هو حقوق الشركة مفصلة بدقة واضحة المعالم ، يقابلها حقوق البلد من الناحية الأخرى محوطة بالغموض ، لقاء ما ستناله البلاد من الفوائد من المشروع ، ولقاء تشغيل العمال الاردنيين بدون تبيين نسب واضحة لهم ولا لمدى خبرتهم(١)

ثانيا - اعفاء الشركة من دفع رسوم جمركية ، ويتجلى خطر هذه الناحية من الاحصائية التاليـة التى تبين قيمة ما استوردته الشركة(٢) فى أعوام مختلفة :

---

(١) قارن ذلك بما نص عليه قانون الشركات المصرية ، من أنه يجب على جميع الشركات العاملة فى مصر أن يضم مجلس ادارتها ما لا يقل عن ٤٠ ٪ من المصريين ، ولا يقل موظفيها عن ٧٥ فى المائة منهم ويجب ألا تقل مرتباتهـم عن ٦٥ فى المائة من المرتبات التى تعطى للموظفين جميعا . كما يجب ألا يقل عـدد العمال المصريين عن ٩٠ فى المائة وألا تقل أجورهم عن ٨٠ فى المائة من مجموع الاجور

(٢) نقلا عن تقارير دائرة الجمارك والمـكوس والتجارة والصناعة الاردنية .

السنة	الجهـــة			مجموع القيمة السنوية
	من فلسطين بالجنيــه	من العراق بالجنيــه	من سوريا بالجنيــه	
١٩٣٦ ١٩٣٧	٧٠٦١٦	١٩١٨٠		٨٩٧٩٦
١٩٤١	٢٩١٠٦	٩٤١٦		٣٨٥٢٢
١٩٤٢	٢٥٤٠٤	١٢١٥٠		٣٧٥٥٤
١٩٤٣	٢٦٣٢١	٢٨٦٨٢		٥٥٠٠٣
١٩٤٤	٤٢١٧٣	١٨٦٨٣		٦٠٨٥٦
١٩٤٥	٧٨٠٢٣	٤٩٥٣		٨٢٩٧٦
١٩٤٦	١٤٢٢٤٧١	٨٦١٤١		١٥٠٨٦١٢
١٩٤٧	٢٨١٦١٠٩	٣٩٣٩٢٧		٣٢١٠٠٣٦
١٩٤٨	٢٧٢٢١٤	٣٠٤٨٩	٦٣٢٤٦٥	٩٣٥١٦٨

ثالثا ـ اعفاء الشركة من الضرائب العقارية وضريبـة الدخل وكافة أنواع الضرائب ينطوى على غبن صريح . لقد كان يحتمل أن تعفى الشركة من دفع هذه الرسوم لو كانت أعمالها فى شرق الأدرن تعتبر نشاطا عرضيا لها ، ولـكن الأمر على نقيض هذا تماما فالشركة تعمل فى نقل وتوزيع الزيوت . وهى على هذا النحو تقوم بعمل أساسى من نشاطهـا فى داخل البلد ما كان يصح أن يترك بدون أن تلتزم بدفع الضرائب لحـكومة البلد التى تستـتفىء بظلها .

رابعا ـ أما الاشارة إلى أيلولة منشآت المشروع للحكومة فبالرغم من أنها

غير مؤكدة لحق الشركة الصريح فى تمديد الاتفاق إلا أنها تنطوى فى نظرنا على جانب من غير روح الجد . فهل ينتظر من حكومة شرق الاردن أن تقوم يوما بنقل وتوزيع البترول مستفيدة من الأنابيب التى تمر بأراضيها ؟

ونرجو ألا تفوتنا الاشارة إلى أن حكومتنا قد دأبت منذ عام ١٩٤٧ على أن تأخذ من الشركة سنويا مبلغ ٦٠ الف جنيه « مقابل جميع الخدمات والمساعدات التى تقدمها الحكومة لهذه الشركة لدفع رواتب ونفقات حراسة الخط ... »

وأخيرا نرى أنه إذا جاز التسامح فى هذا الوضع أيام وصاية الدولة المنتدبة ، فانه يبدو غير طبيعى فى عهد الاستقلال . وفى رأينا أن تصحيح هذا الوضع يتطلب أن تدفع الشركة بعض الرسوم والضرائب أو أن تنال منها البلاد أتاوة كافية، على الأقل، ما دامت تتمتع بحماية الدولة ، عن طريق مباحثات خاصة تجريها الحكومة مع الشركة فى هذا الصدد(١) :

---

(١) للحكومة فى ذلك أسوة بمصر بعد أن فقدت حقوقها فى قناة السويس ، فأجرت مباحثات خاصة مع الشركة كان من نتائجها أن حصلت على أتاوة سنوية طيبة ، علما بأن الفارق شاسع بين الفوائد التى جنتها مصر من القناة وتلك التى تجنيها شرق الاردن من خط بترول العراق .

خامسا – اتفاق بتنظيم مرور الزيوت المعدنية

فى بلاد شرق الاردن

بواسطة شركة الزيوت الانجلو – ايرانية المحدودة

شركة البترول الانجلو – ايرانية

تأسست هذه الشركة باسم «شركة البترول الانجلو – فارسية المحدودة» عام ١٩٠٩ برأسمال قدره مليونان من الجنيهات . وكان من أول اعمالها أن استحوذت على امتياز سبق أن حصلت عليه «شركة داركى للتنقيب» من الحكومة الايرانية عام ١٩٠١ ، ويتضمن ذلك الامتياز حق التنقيب فى مساحة قدرها نصف مليون ميل مربع .

غير أن هذه الاتفاقية أعيد فيها النظر، فتجددت عام ١٩٣٣ ، وبموجب الاتفاقية الجديدة زيدت مدة الامتياز السابق ٣٢ عاما ، لقاء تخفيض المساحة التى يمتد عليها حق التنقيب إلى ١٠٠ الف ميل مربع .

تقع حقول البترول التابعة لهذه الشركة فى «حافظ كل» و «مسجد سليمان» إلى شمالى شرق الخليج الفارسى وتقع مصانع تكريرها أعلى الخليج فى جزيرة «عبادان»

ومجال عمل هذه الشركة واسع النطاق ، إذ أنها فضلا عن استخراج البترول تعنى بنقله وتكريره فى منطقة تمتد من جنوب أفريقيا إلى شمالها

ومن ايران حتى استراليا ، وقد بلغ أنتاجها عام ١٩٢٨ ، ١٠,١٩٥,٣٧١ طن ويبلغ رأسمال الشركة فى الوقت الحاضر ٣٢ مليون جنيه ، تمتلك الحكومة البريطانية منها ١١,٢٦٠,٠٠٠ جنيه . وقد بلغ من نجاح هذه الشركة أن وزعت أرباحا قدرها ٠,٢٠ عام ١٩٣٨ و ٠,٠٥ فى كل من عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ و ٤٠ و ½ ٠,٠٧ عام ١٩٤١ و ٠,٢٠ فى كل من عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ . وقد بلغت أرباحها الصافية فى ذلك العام الأخير وحده ٥,٦٣٩,١٢٢ جنيها .

الامتياز

عقد بتاريخ ١٩٣٣/٩/٢٦ بين حكومة شرق الاردن وبين الشركة لأن هذه ، الشركة ترغب فى أن يكون لها الحق بنقل زيوت خام من حدود العراق إلى مرفأ نهائى على شاطىء فلسطين بواسطة خط أو خطوط أنابيب تخترق بلاد شرق الاردن ... ولأن الحكومة ترغب فى تسهيل المشروع . . لقاء ما ستناله البلاد من الفوائد من المشروع »

وهذا الامتياز مأخوذ بالنص عن الامتياز السابق الممنوح لشركة البترول العراقية و بنفس المدة ابتداء من تاريخ التوقيع ، ولا يختلف عنه إلا بنصين اثنين .

أولها : ما جاء فى المادة التاسعة عشر من الاتفاق الجديد من أن الشركة ستدفع للحكومة ٥٠٠ جنيه كل عام قبل إنشاء الخط و ١٠٠٠ جنيه بعد اتمامه بالاضافة لمبلغ نسبي أو مبالغ نسبية تدفع بعد الانشاء .

وقد أورد هذا النص الغامض لتتفادى الشركة النص الوارد فى الاتفاق

السابق ومؤداه أن للحكومة (الأردنية) الحق فى إلغاء الامتياز إذا لم تباشر الشركة أعمالها وفقا لنصوصه فى غضون ثمانية أعوام . .

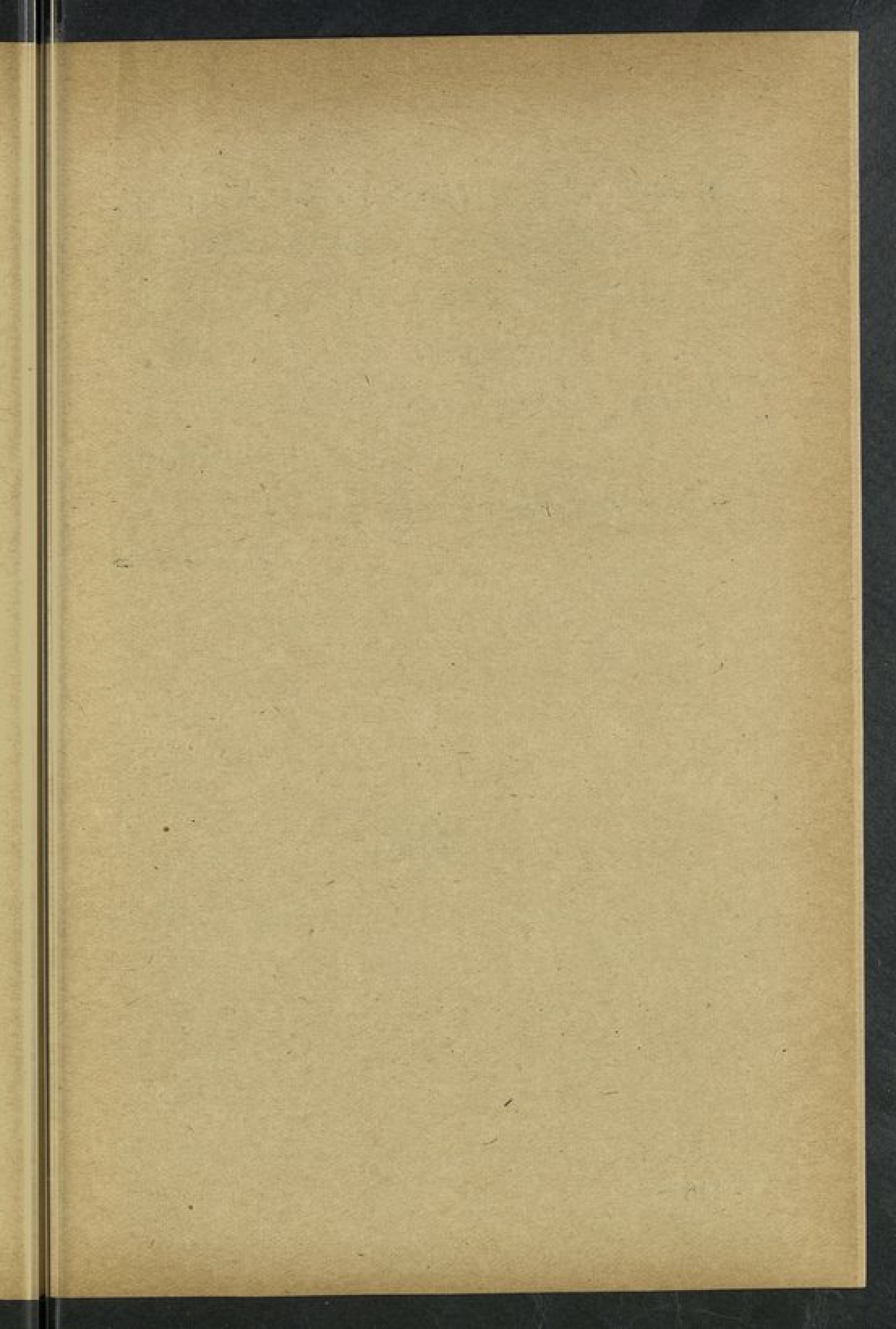
وثانيهما ما جاء فى المادة الخامسة والعشرين من الاتفاقية الجديدة وليس له نظير فى الاتفاقية الأولى ، وينص على ما يلى :

« يفسر هذا الاتفاق ويؤول بمقتضى شرائع انجلترا وينفذ بمقتضى ذلك »

ونص هذه المادة يغنى عن كل بيان .

ونود أن نلاحظ أخيرا أن هذه الشركة لم تستخدم حقها هذا فى مد خط بترول حتى الآن .





القسم الثالث

المشـــــــروعات

مراجع القسم الثالث

بالعربية

١ — مشكلات الشرق الاوسط — الكتاب السنوى لجمعية الشرق الاوسط بجامعة فؤاد الاول

بالانجليزية

٢ -- R. R. NATHAN, O. GASS AND D. CREAMER:
PALESTINE PROBLEM AND PROMISE

٣ -- مجلة ENGINEERING

عدد ، ١٩٤٦

٤ -- D. E. LILIENTHAL: T. V. A.

٥ -- J. HUXLEY: T. V. A.

٦ -- W. C. LOWDERMILK:
PALESTINE LAND OF PROMISE CHAPTER XI

٧ -- J. B. HAYS: T. V. A. ON THE JORDAN.

٨ -- M. G. IONIDES:
REPORT ON THE WATER RESOURCES OF TRANS-JORDAN AND THEIR DEVELOPMENT. CHAPTER X

مشروعات وادى الأردن

في حديثنا عن المشروعات فى هـذا الوادى ، لا بد من أن نميز بين نوعين منها :

أولا : تلك التى تعمل فى الوادى وفقا لامتيازات سبق أن منحت للقائمين عليها .

وثانيـا : تلك الخطط المرسومة لمشروعات يعمل لهـا أصحابها ، ويرجون أن تتحقق فى مستقبل قريب ، على تحدد الغايات والأغراض التى تهدف إليها .

وقد عرضنا المشروعات الأولى فى القسم الخاص بالامتيازات ، والثانية هى موضوع هذا القسم .

تنقسم المشروعات التى سنبحثها إلى مجموعتين رئيسيتين :

المجموعة الأولى : وتضم المشروعات التى ترمى إلى استغلال الوادى أو جانب منه مباشرة ، بتحسينه أو تعميره ، ونطلق عليها اسم « مشروعات الوادى » وستكون موضوع الفصل الأول .

المجموعة الثانية : وتضم المشروعات الراميـة إلى استغلال الوادى بطريق غير مباشر ، كطريق مائى للمواصلات بعد اجراء تغييرات هندسية معينة واقامة منشآت خاصة فيه ، ونطلق عليها اسم « مشروعات المواصلات » وستكون موضوع الفصل الثانى

الفصل الاول

مشروعات الوادى

الفصل الأول

مشروعات الوادى

مقدمة

مر التفكير فى مشروعات الأردن بثلاث مراحل :

فابتدأ بالمشروعات التمهيدية التى ما كانت تعدو أفكارا عامة ، وضحت قيمتها فى دراسة امكانيات الوادى ووضع الخطط لاستغلاله ، بعد ذلك وقد اصطبغت مشروعات هذه المرحلة بالتفكير الفرنسى .

وتأتى المرحلة الثانية ، فتوضع المشروعات التى تهدف إلى تحسين مناطق معينة فيه ، وتتسم بطابعها الاصلاحى ، وتكاد تقتصر على شرقى الوادى وتمثل بوجه عام المشروعات التى يقف من وراءها التفكير البريطانى الرسمى ، مسايرة لنشاطه المتواضع فى العهد الأخير .

وأخيرا ، تقوم تلك المشروعات الهادفة لانشاء واسع النطاق واستعمار لمناطق جديدة . وتتميز مشروعات هذه المرحلة باتساع نطاقها وشمول أغراضها وضخامة التنظيم الموحى بها . وتمثل بصورة عامة المجال الاقتصادى الواسع الذى أخذ يشغله الاقتصاد الأمريكى الفتى أبان الحرب الأخيرة وما بعدها .

وقد كان للصهيونيين ، اتصال قوى بالمشروعات الأولى ، ولم تربطهم

صلة مباشرة بالمشروعات البريطانية ، وكان ارتباطهم وثيقا بالمشروعات الأمريكية. فدرسوا شروط نجاحها ومراحل تنفيذها وساروا شوطا بعيدا فى اذاعتها وتبنيها .

أولا — المشروعات التمهيدية

بدأ التفكير فى هذه المشروعات فى أواخر القرن الماضى ، كوسيلة تتمكن الحكومة العثمانية عن طريقها ، من تسديد ديونها العمومى ، وفعلا عُرض عليها تأجير غور بيسان لمدة عشر سنوات لزراعته قطنا لقاء دفعة سنوية قدرها ٤٠٠ الف فرنك . غير أنها رفضت ذلك العرض .

وجلى أن التقدم بمثل هذا الطلب من لدن هيئات فرنسية ، فى ذلك الوقت ، لا بد أن يرجع إلى النجاح المربح الذى لاقته زراعة القطن المصرى نتيجة اتباع سياسة رى جديدة أنقذت مصر من الافلاس وخلصتها من معظم ما كان يبهظ كاهلها من ديون .

ولم يمض وقت طويل ، حتى اتخذ ذلك المشروع الأولى صورة جديدة دقيقة . فهذا مشروع ومعلومات هندسية يقدمها مهندس فرنسى إلى « تيودور هرتسل » مؤسس الصهيونية . فيكتب هرتسل (١) فى أوائل هذا القرن منذ نحو أربعين عاما ، مقالة فى مجلة ALTNEULAND يقترح فيها مشروعا يجمع بين استخدام الماء العذب فى أعالى الاردن لاغراض الرى ، وامكان استغلال تباين المستوى بين البحر الميت والمتوسط ، فى توليد القوة الكهربائية .

---

(١) ALEX BEIN فى كتابه « تيودور هرتسل »

ظلت صلة المهندسين الفرنسيين مستمرة بهذه المشروعات ، وأخذوا يرسمون فى عهد الانتداب الفرنسى على سوريا مشروعات لاستغلال مساقط المياه فى نهر اليرموك قرب « تل شهاب » ، فوقفت دونهم السلطات صاحبة امتياز « روتنبرغ » ، فأذعنوا لها ، واكتفى نتيجة لذلك باقامة بعض المنشآت للاستفادة من مياه نهر اليرموك عند « المزيريب »(١)

وقبيل الحرب الأخيرة ، كثرت مباحث المهندسين الفرنسيين فى هذا الصدد ، وهى بمجموعها تخلو من التفصيل ، ولا تخرج عن المشروع الذى نادى بها « هرتسل » من قبل . وكان أشهر هذه المباحث تلك التى تقدم بها المهندس « PIERRE GANDRILLON »

---

(١) عاد البحث فى هذا الموضوع فى أخريات ايام « حسنى الزعيم » فنشرت بيانات غير وافية تتصل باقامة محطة لتوليد الكهرباء فى هذه المنطقة قدرتها ١٠٠٠٠ كيلووات وري منطقة مساحتها نحو ١٠٠٠٠ دونم .

ثانيا – المشروعات الاصلاحية

تقدمت معظم البلاد المشتركة فى حوض الاردن بمشروعات لاستغلاله أما شرق الأردن فقد أعانتها وزارة المستعمرات البريطانية على ذلك بأن أوفدت مهندس رى « م . ج . أيونيدس » للقيام بأعمال المساحة المائية استجابة لنصيحة اللجنة الملكية لفلسطين عام ١٩٣٧ .

أقام أيونيدس فى شرق الاردن عامين ، وقد ضمن خلاصة دراساته تقريرا رسميا(١) صدر فى عام ١٩٣٩ . وتتلخص المقترحات التى أبداها فى مشروعين(٢) أحدهما واسع رئيسى وآخر ثانوى محدود المجال .

مشروع أيونيدس

أشار أيونيدس إلى هـذا المشروع فى تقريره ، وأفاض فيـه فى بحث نشره فى أحد أعداد مجلة « ENGINEERING » عام ١٩٤٦ .

يرى أيونيدس أن الوسيلة الوحيـدة للحصول على أرض زراعية جديدة هى الاستفادة من الماء الذى لا يستفاد منه فى الوقت الحاضر ، من موردى البلد الرئيسيين ، الاردن واليرموك ، وبقدر ما يحملانه معا

---

(١) REPORT ON THE WATER RESOURCES...

(٢) لا نعلم ما إذا كان هذان المشروعان هما المعنيين فيما ورد برسالة سمو الامير عبد المجيد حيـدر إلى جريدة « التيمس » وأشارت إليها « الاهرام » المصرية فى عددها الصادر ٢٦ / ٨ / ١٩٤٩ من أن « المملـكة الاردنية الهاشمية قد عنيت بوضع مشروعات لتحسين أحوال الرى بتحويل وادى الاردن ، لا تقل سعة مدى عن المشروعات الامريكية ، لتحسين أحوال الرى واصلاح أكبر مساحة ممكنة من الاراضى داخل نطاق حدودها وان لم تلق دعاية وترويجا لها »

عند مكان إلتقاءهما بمليار و ٢٠ مليون مترا مكعبا، منها ٧٦٦ مليون مترا مكعبا يأخذانها من ينابيعهما وهي مورد دائم مضمون، كما يقدر ما تحمله الأنهار والجداول القادمة من الهضبة الشرقية إلى الغور الأدنى بـ ٢٤٠ مليون مترا مكعبا .

معالم المشروع

لا بد لهذه الكمية من أن تروى شرق الاردن الأدنى في مسافة طولها ٦٠ ميلا . وللوصول لهذه الغاية يقترح تحويل (١) مياه الاردن واليرموك إلى قناة يكون تصريفها في بدايتها (٢) من ٦ - ١٦ مترا مكعبا في الثانية ، تخترق الغور شمالا من اليرموك حتى تصل البحر الميت جنوبا، وتبعد شرق النهر عدة أميال لأقصى مدى تبرره التكاليف (٣) . ومنها ينساب الماء إلى الأراضي المراد ريها .

---

(١) لاجراء هذا التحويل يقترح طريقتين : تتلخص الاولى في حفر نفق أرضي من مكان إلتقاء النهرين في الوقت الحاضر ، لتنقل ماء الاردن إلى اليرموك عند دخوله الغور (أي قبل نحو ستة أميال من إلتقاءه بالاردن) ومن هناك تبدأ القناة الرئيسية . أما الطريقة الثانية فتتلخص في فتح قناة مباشرة تبدأ من سمخ على ساحل بحيرة طبريا لتتصل باليرموك عند دخوله الغور . وهو أخيرا يترك تحديد الموضع النهائي للملابسات التي تحيط بالمشروع وقت تنفيذه .

(٢) تمدها الجداول القادمة من الشرق بـ ١٢٣ مليون مترا مكعبا في العام وتأخذ من اليرموك والاردن ٣٨٤ مليون مترا مكعبا آخر ، وجميعها لا تستخدم لاغراض الري حتى الان . وليس هناك خوف من انخفاض مستوى النهر في فصل الصيف إذ سيبلغ تصريف القناة آنذاك من ٥ - ١٢ مترا مكعبا في الثانية ، وهي كمية يمكن توفيرها دون المساس بأعمال شركة الكهرباء الفلسطينية .

(٣) سبب هذا أن اى تقدم نحو الشرق معناه شق القناة في مناطق جبلية صخرية مما يبهظ تكاليف المشروع ويدعو إلى التفكر في جدواه

ولا بد لاستمرار هذه القناة من بناء معابر وموزعات رئيسية ، وذلك لأن أرضية الغور - كما أشرنا قبلا - تنقسم إلى شبه مستطيلات أنشأتها الوديان والأنهار القادمة من الشرق ، ويبلغ بعضها من العمق درجة لا يمكن تفاديها بغير ذلك ، وهكذا تنصب مياه الأردن واليرموك والجداول الدائمة فى القناة الرئيسية وتعبر كل واد فى معبر خاص ، يقوم بعده على كل مستطيل موزع رئيسى ينقل الماء إلى أقنية ثانوية تتصل بالحقول .

المساحة التى يرويها

تبلغ مساحة الأرض القابلة للزراعة والتى لا تزرع ، لافتقارها الماء ، شرق الاردن الأدنى ، ٣٧٥ الف دونم ، يقع بعضها شرقى القناة المقترحة فى مستوى أعلى من مستوى بقية الأرض مما يتعذر معه ريها بقوة انسياب الماء . وهذه لا بد من سقيها اما من الجداول أو برفع الماء من القناة .

فلو أهملنا جميع موارد الماء(١) الأخرى ، وقصرنا الجهد على الرى بالماء المنساب لتوفر لدينا ما يكفى لرى ٣٠٠ الف دونم على اعتبار مقطوعية الدونم الواحد ١٦٩٠ مترا مكعبا فى العام ، أى نحو ٥٠٧ مليون مترا مكعبا .

التكاليف

لم يلق « أيونيدس » صعوبة فى تقدير تكاليف مشروعه ، وذلك لانقسام

---

(١) تكفى مياه الابار لرى ٢٠ الف دونم فى الغور الشرقى بتكلفة تقدر بنحو نصف مل للمتر المكعب واصلا للحقل .

ويبلغ مجموع المساحات التى يمكن رفع المياه إليها من النهر ١٠٠ الف دونم ، ويتكلف المتر المكعب من المياه واصلا للحقل بهذه الطريقة ١ ونصف مل . غير أنه يعيق التقدم فى ذلك ضرورة غسل التربة القريبة من النهر من الاملاح التى تغطيها .

الأراضى المراد ريها إلى قطع مستطيلة، وقد قدر تكاليف أعمال التحويلات اللازمة حسبما جرى عليه الحال فى الخارج مع تكييفها وفق الأوضاع المحلية وعلى أساس الأسعار السائدة قبل الحرب الأخيرة ، وحسبان احتياطى كاف ، بـ ٢,٦٥٠,٠٠٠ جنيه . وبذلك تصل تكاليف المتر المكعب الواحد من الماء واصلا للارض مع احتساب نفقات الصيانة ½ مل(١)

فوائده

وأخيرا يتحدث عن الفوائد التى يجنيها الفلاحون من تعميق الزراعة على أساس ملكية كل عائلة ٣٠ دونم، ولم يفته أن يذكر ملاءمة جوانب الوادى للرى، وصلاحية المناخ الاستوائى ودون الاستوائى فيه لانتاج محصولات وافرة من مختلف أصناف الحبوب والخضروات والفواكه الحمضية والموز وغير ذلك . . . من الثمار الاستوائية مما قد يجعل هذه المنطقة من أخصب بقاع الشرق الأوسط زراعة .

عقبات فى طريق المشروع

غير أنه يجد نفسه مضطرا فى ختام مشروعه إلى ملاحظة القيود التى تفرضها شروط ، امتياز روتنبرغ ، ووقوفه حجر عثرة دون القيام به، ولا يسعه إلا الرجاء بالا يمضى وقت طويل حتى يمكن شراء هذا الامتياز، الأمر الذى دفعه إلى التفكير فى تنفيذ مشروعه على مراحل ما دامت حكومة شرق الأردن لا تلق العون الأجنبى والدولى الكاف للأخذ بيدها للتخلص من هذا الوضع الشائك .

---

(١) كلف المتر المكعب الواحد من المياه المخزونة وراء سد اسوان ⅔ ١ ملـيم ويعتبر من أرخص أثمان المياه فى العالم .

ومن أجل هذا يقترح تنفيذ مشروعه التالى . . .

المشروع الثانى

يستهدف هذا المشروع ارواء منطقة من الغور الشرقى ، اما يصلها ماء يسير أولا يصلها ماء البتة ، تبلغ مساحتها نحو ٤٥٣٦٠ دونم ،وذلك عن طريق حفر قناة من نهر اليرموك يبلغ تصريفها ١,٦ مترا مكعبا فى الثانية وتمر بوادى العرب وتأخذ منه ما يجعل تصريفها نحو ٢,٢٦ مترا مكعبا فى الثانية حتى تصل إلى الضفة الشمالية لوادى زقلاب والاحصائية التالية تبين النتائج المتوخاة منه :

	الاراضى التى تروى بالدونم	المياه الواصلة لها فى العام بالامتار المكعبة	مقطوعية الدونم السنوية	ملاحظات
قبل المشروع	٣٦٣٢٠	٢١ مليون	٥٨٠ مترا مكعبا	تروى معظم الارض هنا فى دورة زراعية ثنائية .ومنها ١٦ ٣٠ دونم تزرع زراعة كثيفة فى المدسيه وتستنفذ نحو ٤ مليون مترا مكعبا فى السنة.
بعد المشروع	٤٥٣٦٠	٥٤ مليون	١٢٠٠ مترا مكعبا	من هذه المساحة ٤٠١٠٠ دونم تروى من مياه اليرموك ووادى العرب و ٤٦٦٠ دونم تروى من وادى زقلاب .

ولا تتجاوز تكاليف إنشاء هذا المشروع ٧٠ ألف جنيه(١) ونفقات صيانته وفوائده السنوية ٥٥٠٠ جنيه. ومما يشجع على القيام به - فى رأيه - وقوع نحو ٥٥٠٠ دونم من دومين الدولة فى منطقته مما يمكن من بيعها بنحو ٣٠ ألف جنيه بغير صعوبة ... بأسعار ما قبل الحرب بالطبع.

ثالثا - المشروعات الاستعمارية الشاملة

يتمثل فى هذه المشروعات النفوذ الاقتصادى الامريكى فى مجالات التنظيم ورأس المال. وتتميز باتساع نطاقها الذى لا يقتصر على الزراعة والرى وإنما يمتد إلى الصناعة ويستهدف خلق بيئة صناعية، تمكن من استيعاب مهاجرين يهود جدد، وتستوعب رؤوس أموال أمريكية جديدة. ومجال هذه المشروعات وإن كان بعضه يمتد شرقى الاردن فانه بصورة أساسية يتركز فى الجانب الغربى منه.

وأول هذه المشروعات وأكثرها أهمية مشروع:

---

(١) يوسع كونيكوف هذه الفكرة فيقترح إنشاء قناة تصريفها ٦ ونصف مترا مكعبا فى الثانية يمكن أن تروى مساحة قدرها ١١٧ ألف دونم، وإذا أضيف لذلك الجداول القادمة من الشرق يتيسر رى أراضى الغور الواقعة شمال نهر الزرقاء ومساحتها ١٥٠ ألف دونم باعتبار مقطوعية الدونم الواحد ١٢٣٠ مترا مكعبا فى العام. وبعد ذلك يمكن تحويل نهر الزرقاء للجنوب.

وتبلغ النفقة الرأسمالية لهذا المشروع، فيما لو أقيمت قناة ترابية، ٤٠٠ ألف جنيه أى أكثر من ٢و٥ جنيه للدونم الواحد. وترتفع هذه التكاليف إلى خمسة أو ستة جنيهات فيما لو أريد بناء القناة بالاسمنت المسلح.

هيئة وادى الاردن

JORDAN VALLEY AUTHORITY

هيئة وادى التنيسى T. V. A.

هذا المشروع متأثر بصورة مباشرة بالتجربة الأمريكية الضخمة التى كان حوض وادى التنيسى(١) وروافده ميدانا لها، والتى تعد بحق أعجوبة فى تقدم أصول استغلال الموارد الطبيعية الحديثة، فقد كان أحد المشروعات الهامة التى كون منها الرئيس ف. د. روزفلت تنظيمه الجديد المعروف باسم «NEW DEAL» ليواجه المشكلات التى صحبت الأزمة التى كانت تكتسح العالم فى أوائل عهده، بعد أن عجز من سبقه عن التغلب عليها.

وقد كانت أغراض هذا المشروع تتلخص فى كبح جماح الفيضانات المدمرة، وتوليد القوة الكهربائية، وإقامة سدود على النهر وروافده، ورى أراض كانت من قبل مهملة لقلة ما يجيئها من الماء، وتيسير الملاحة فى مجرى النهر، والحيلولة دون انجراف التربة، وتوسيع الغابات فى الأراضى التى تصعب زراعتها، والتوسع فى أعمال التعدين والانتاج الصناعى . . .

وقد أدى المشروع كافة هذه الأغراض فى أقل من خمسة عشر عاما، فولدت السدود المقامة على النهر وروافده قوة بلغت ٢,٤٦٩,٥٨٢ كيلووات

---

(١) يعتبر نهر التنيسى من أهم الانهار الداخلية فى الولايات المتحدة، يتصل حوضه بسبع ولايات منها : فرجينيا . كارولينا الشمالية . تنيسى . جورجيا . الباما ميسيسبى . كنتكى .

ويسر الملاحة فى ما طوله ٤٦٤ ميلا ابتداء من ملتقى التنيسى بنهر « اوهيو » حتى مدينة « تشاتانوجا » .

وبهذا النجاح الرائع عد هذا المشروع من معجزات التوجيه(١) الاقتصادى المتعدد الأغراض، وحطم أسطوره أن التوجيه الشامل فى استغلال موارد المجتمع لا يستقيم مع الديمقراطية والحرية الفردية .

ومن أجل تحقيق أغراض المشروع أقيمت على النهر وروافده سدود وخزانات، منها ستة عشر سدا كبيرا أقامتها الهيئة وهى ملكية عامة، وخمسة كبيرة أخرى بنتها فى السابق ولا تزال تمتلكها شركة الألومنيوم الأمريكية، ولكن الهيئة تشرف اشرافا تاما على هذه السدود عامة . وبلغ ما تكلفته الخزانة الأمريكية فى هذا المشروع حتى عام ١٩٤٧ ، ٧١٧,٥٢٣,٧٢٠ دولارا .

وكان ذلك المشروع قوى الأثر فى توجيه التفكير العالمى صوب استغلال المناطق التى تكون وحدات طبيعية أقليمية خاصة ، استغلالا مرسوما شاملا ، بحيث لا تتعارض الغايات فتتعدد وتتضارب السياسات التى ترسم لتنفيذها ، عن طريق مؤسسات عالمية تهدف إلى التقدم بمناطق كثيرة متأخرة فى أوربا وأفريقيا وغيرها . وعلى نسق هذه المشروعات وضعت دراسة للنهوض بوادى الأردن وهى موضوع هذا البحث .

---

(١) يعنى التوجيه الاقتصادى أن تستطيع الدولة أن تضع لاجل معلوم خطة عامة تشمل جوانب الحياة الاقتصادية جميعها بحيث تسير مختلف جوانبها فى طريق التقدم المطرد بصورة منظمة متسقة « ج . د . ه كول » .

لودر ملك W. C. LOWDERMILK

واضع المشروع . وهو مهندس زراعى وخبير رى وكهرباء ، أمريكى الجنسية ، أوفدته وزارة التجارة الأمريكية عام ١٩٣٩ إلى بلدان الشرق الأدنى ليستطلع أحوال الزراعة فيها وامكان انعاشها .

وقبل أن نعرض المشروع نلاحظ أنه ليس وليد اليوم ولم يكن لودر ملك أول من فكر فيه ، فانه فضلا عن تأثره بمشروع هيئة وادى التنيسى فقد سبقته مشروعات تقدمت الاشارة إليها ، كما يعزى إلى المهندس السويدى « البرت هيورت A. HIORTH » وقد زار فلسطين عام ١٩٣٠ ، مشروع يقترب منه .

هيئة وادى الاردن

أغراضــــها

يرى لودر ملك أن فلسطين تحتاج إلى غرضين أوليين : الماء والقوى ، والأول يتيسر الحصول عليه مما يجرى فى نهر الأردن ، والثانى يمكن استنباطه من الانحدار العظيم للنهر فى هبوطه نحو البحر الميت ، وبذا تكون الأغراض الأساسية لهيئة وادى الاردن هى تحويل المياه العذبة فى نهر الاردن وروافده ، من أجل رى الاراضى على ضفتى النهر وعلى منحدراته فى الجانبين ، والاستفادة من الانحدار العميق للنهر فى أغراض توليد القوى .

برنامج الرى

ويشتمل على نقل المياه العذبة من الاردن الأعلى واليرموك والزرقاء

فى أقنية ومجارى مغطاة حول منحدرات وادى الأردن ، وهكذا يمكن رى المنحدرات وغسل الأملاح القلوية من الأراضى على جانبي النهر فتهيأ جميعها لزراعة المحاصيل .

والماء الذى يجرى فى نهر الاردن الآن لو أطلق على معدل ١٣٠ قدما مكعبا فى العام لكان كافيا لرى ما مساحته ١,٢٠٠,٠٠٠ دونم . وبالنظر إلى أن الأراضى التى يمكن ريها لاتصل لاكثر من ذلك ، فيمكن سحب الماء الفائض من شمال بحيرة الحولة حيث ترتفع الارض ٦٠٠ قدم عن سطح البحر ، ويمكن بعد ذلك أن يسيل بالجاذبية لرى سهول بيسان والجليل ومرج ابن عامر وبعض الأودية فى طريقه .

برنامج توليد الكهرباء

يبلغ متوسط البخر السنوى فى البحر الميت ١٥ قدما فى العام ، وهذا النقص تعوضه الانهر التى تصب فيه . ولو نفذ مشروع الرى لزاد انخفاض سطح البحر الميت وهذا من شأنه أن يزيد ملوحته وأن يعيق التوسع فى استغلال املاحه ، لما يتطلب من تغير دائم فى الاساليب والآلات المستخدمة ، وتعديل فى المنشآت والابنية وزيادة فى التكاليف ، ومن أجل تعويض هذا النقص يقترح لودر ملك حفر قناة ونفق من حيفا إلى نقطة قرب بيسان ـ والمسافة بينهما لا تزيد عن ٢٧ ميلا : ـ قناة مكشوفة طولها ٧ أميال من حيفا حتى جبل الكرمل ، ونفقا تكسى جدرانه بالاسمنت لتجنب أضرار الرشوحات ، طوله ٢٠ ميلا فى سهول شفا عمرو حتى أعلى بروز من الجانب الغربى فى وادى الاردن .

وبهذه الطريقة ، وبالاضافة لتعويض نقص ماء البحر الميت ، يتشكل

مسقط مائى بعلو ١٢٠٠ قدم عن الارض، ولو جعلنا ما يجرى فى النفق من ماء البحر ١٠٠٠ قدم مكعب فى الثانية، وهى كمية متواضعة، لامكن من هذا العلو توليد ١١٠,٠٠٠ كيلووات. وإذا أضفنا إلى هذا ما يمكن أن تولده منشآت الرى من الكهرباء لتوفر لدينا ١٥٠,٠٠٠ كيلووات، وهذا يعطينا فى العام قوة مقدارها ١٠٠٠ مليون كيلووات ساعة.

الاغراض العامة للمشروع

فى مثل جو فلسطين وأحوال المعيشة السائدة فيها، تكفى هذه القوى لسد حاجات مليون إضافى من السكان. وتتسع هذه الامكانية لو أضفنا الماء والقوى المائية فى المناطق المتاخمة لفلسطين.

وليس أمر توليد القوى والرى كل ما فى المشروع، فان الغرض العام منه هو تحسين الارض المزروعة وزيادتها، وتوفير المياه اللازمة. واستغلال الموارد المعدنية فى حوض الاردن فى فلسطين وشرق الاردن واستغلال المنحدرات الغربية من فلسطين، والسيطرة على الفيضانات، كما هو الشأن فى وادى التنيسى.

ومن المهام التى ستقوم بها الهيئة منع انجراف التربة وتحسين امتصاصها الماء فى فصل المطر، وتنظيم الصرف كيلا يؤذى التربة ويهدم المساطب، وستعنى بالادارة العلمية وتحسين الماشية. وهذه الفوائد تبدو ثمارها فى مدى خمسة أعوام من البدء فى المشروع. وفى نطاق أعمال الهيئة يمكن تحقيق التكامل بين الرعى والزراعة، وفى ذلك سيكون المشروع نموذجا

على نطاق ضيق يكون بمثابة نواة لمشروعات مشابهة تزيد من رفاهية وأمن بلاد الشرق الأوسط جميعا .

أما الأراضى التى لا تلائم الزراعة أو يتعذر ريها فتزرع بغابات يستفاد منها فى الوقود وفى استخدام خشبها ، وتساعد على الاستفادة من الامطار العاصفة ، والنتائج الحميدة لهذا تظهر فى فترة لا تتجاوز عشر سنين .

وهناك مظهر انتاجى هام للمشروع يتجلى فى زيادة ما يمكن أن يستخرج من معادن البحر الميت على نطاق أوسع من الحالى بكثير ، فيستخرج البوتاسيوم للتخصيب والصناعات الحربية ، والبرومين لمصافى الزيت والمغنسيوم للاخلاط المستخدمة فى بناء الطائرات .

وهذه الأغراض العامة لا بد من أن تتناسق مع تصريف بحيرة الحولة وكذلك الاراضى الغربية التى حولها فى مساحة تقدر الآن بـ ١٠٠,٠٠٠ دونم يمكن زيادتها ويمكن أن يزرع فيها الارز والقطن .

أغراض اضافية للمشروع

ويدخل فى نشاط الهيئة استصلاح أراضى النقب ، ومساحتها وحدها تساوى مساحة بقية الاراضى الفلسطينية . وتساعد القوة الرخيصة التى ييسرها المشروع على نشر الصناعات كما يمكن توسيع الاراضى التى تروى حول « بير السبع » فى وسط هذه المنطقة .

ولا بد من أموال ترصد فى المشروع للبحث الشامل الدقيق عن موارد المياه الارتوازية ، ولانشاء سدود تخزن الماء الذى ينحدر من هضبة الخليل وتسيره فى مجارى إلى النقب حيث يمكن أن يستخدم لرى

الأرض المتعطشة . وبدلا من ضياع مياه الأنهر الفلسطينية فى البحر خلال موسم الشتاء يمكن أن تنشأ عليها سدود تحفظ الماء فى التلال ، ومن هناك يمكن أن توجه إلى بير السبع وغيرها من المناطق الجنوبية .

الناحية المالية من المشروع

لم يحدد صاحب المشروع رقما لتكاليفه ، ولكنه يؤكد أنها أقل منها فى المناطق الأمريكية لأن ارتفاع الأرض بين حيفا وبيسان لا يتعدى ١٥٠ قدما ، فضلا عن إمكان توفير الأيدى العاملة (من الأهلين أو المهاجرين الأوربيين) ووجود كثير من مواد البناء كالاسمنت فيها .

أما عن التمويل فهو يقترح مساهمة الأمم المتحدة والمنظمات اليهودية العالمية وتوظيف رأس مال فردى ، أى أنه يريد مصلحة شبه عامة Quasi-Public تعمل بمال عام ومال فردى ، ويشترك بها مولون يهود وأجانب

وأما عن عوائد المشروع فيرى أن الحساب الدقيق يتعذر لتداخل أغراض المشروع ببعضها ، ولكنه يرى أن زيادة ما يستخرج من معادن البحر الميت سيعطى دخلا مباشرا سريعا للمشروع ، وكذلك بيع القوة الكهربائية . وفى جو وادى الأردن الاستوائى يمكن أن تزدهر الزراعة طوال العام إذا توفر الرى ، وهذا ان يأخذ وقتا طويلا . أما فى النواحى الأخرى فيرى أن تحسين التربة وأراضى الرعى والغابات ستعطى عوائد مباشرة وغير مباشرة .

وهو يعتقد أنه لو أديرت هيئة الأردن كمشروع قومى (١) لكان هناك احتمال كبير فى أن تسد نفقاتها Self-Liquidating

(١) لا ندرى ما المقصود بذلك وحوض الوادى نفسه أكثر من دولة

وقبل أن يختم مشروعه لا يفوته أن يلتفت إلى المشروعين اللذين يعملان فى وادى الأردن الآن ، وهما شركة الكهرباء الفلسطينية التى تحتكر توليد وبيع الكهرباء فى فلسطين ، وشركة البوتاس الفلسطينية التى تستغل موارد البحر الميت . وهو يرى أنه يمكن تنسيق أعمالها مع أغراض المشروع العامة .

وهكذا يتضح من الاتجاه العام للمشروع أن واضعه يستهدف من وراءه زيادة قدرة البلاد الفلسطينية بصفة عامة ، ووادى الأردن بوجه خاص ، على استيعاب يهود جدد .

وقد اختلف الرأى فيه ، فالمراجع الانجليزية تشير إلى خياليته ، فيبرز بعضها الصعوبات الهندسية(1) التى يمكن أن تعترضه كاتساع منافذ الأودية التى تنصب فيه ، ويشير بعضها(2) لقلة جدواه بالقياس إلى مشروعات أخرى يجرى البحث فى القيام بها فى مناطق معينة من بلدان الشرق الأوسط ، كمشروعات أعالى دجله فى العراق ، والجزيرة فى سوريا. أما فى الولايات المتحدة فقد لقى استحسانا وتشجيعا قويا ، فهذا « هنرى والاس » وكيل رئيس الجمهورية السابق يثنى على المشروع ، وهذه الجمعيات تدرس تفصيلاته . وأنشأ « هيز » J. B. HAYS و « سافدج » J. L. SAVAGE بدرساته ويقدران تكاليفه بمبلغ يتجاوز ٢٠٠ مليون دولار . وأخيرا قامت فيها جمعية لاذاعة المشروع والدعاية له وتهيئة

---

(1) E. B. WORTHINGTON مصدر سابق

(2) D. WRRINER مصدر سابق

الأذهان للاكتتاب فى تمويله عندما يحين الحين ، باسم « جمعية هيئة وادى الأردن »

والرأى العربى ، الأردنى والفلسطينى بوجه خاص ، لم يبده أحد . وظل الرأى الرسمى صامتاً ، لم يعدُ ما أتيح لنا من الاطلاع على رسالة وجهها أحد أصحاب الدولة السابقين فى شرق الأردن ، إلى سعادة الوزير البريطانى المفوض فى عمان - منذ نحو عامين ، وبمناسبة قدوم لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة - يسأل فيها عن حقيقة المشروعات التى توضع لاستغلال مياه البلاد الشمالية ، فيجيبه الوزير إجابة غامضة نذكر منها أنه لن يتم شىء نهائى بدون مشاركة حكومة شرق الأردن فيه وحفظ مصالحها ، أو ما هو فى هذا المعنى .

وكان من أبرز نتائج هذا المشروع أن نظمت الجمعيات والشركات - وجميعها صهيونية التكوين والتمويل - داخل فلسطين لدراسته وتنميته ، فأوحى لبعضها بمشروعات مشابهة . وكان من أهمها :

مشروع لجنة المساحة الفلسطينية

لجنة المساحة الفلسطينية

مؤسسة أمريكية يهودية ، قامت بأعمال المساحة المائية فى فلسطين عام ١٩٤٣ ، وأمضى كبير مهندسيها J. B. HAYS زمنا فى فلسطين فى أواخر عام ١٩٤٤ وأوائل ١٩٤٥ . وقدم تقريرا مفصلا إلى لجنة التحقيق الانجلو - أمريكية لفلسطين عام ١٩٤٦ ، وأعاد نشر مشروعه باسم « T. V. A. ON THE JORDAN » فى أواخر عام ١٩٤٨ .

مشروعها

ويتلخص فى تحويل الفائض من أنهار الحاصبانى وبانياس واليرموك بأقنية وخزانات لمرج ابن عامر والنقب(١) ، وحفر قناة تصل ماء البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت ، فتعوض النقص فى ماء الأخير ، وتُستغل فى توليد الكهرباء ، وهكذا يبدو أن المشروع يستهدف غرضين رئيسيين :

الاغراض الزراعية

تتلخص مقترحاتها فيها ، ببناء قناة تبدأ من نهر بانياس فالدان فالحاصبانى وتوجيهها صوب الجنوب فالغرب ، لتسق أراضى الجليل ، وتلتقى بشبكة أخرى تسق أراضى فلسطين الساحلية . وكذلك تحويل نصف مياه اليرموك إليها وترك النصف الباقى إلى شرق الاردن . ثم إقامة سد عبر الاردن الادنى عند أريحا ، لتحويل ما تبقى من ماء النهر لرى الارض هناك . هذا فضلا عن اقامة سدود وخزانات فى الاماكن الملائمة بين جوانب الاودية ، والافادة من مياه الينابيع والآبار فى بيسان وغيرها ، اما لرى الارض حولها أو لرفعها ثم نقلها بأقنية إلى أماكن بعيدة أكثر احتياجا إليها .

وقد قدرت تكاليف هذا الجانب منه ، ويستهدف ارواء منطقة مساحتها نحو ٢,٨٩٠,٠٠٠(٢) دونم بنحو ١٩٧ مليون دولار (٣) ، مما يجعل

---

(١) لم نشأ أن ندخل « النقب » فى نطاق دراستنا ، لان المعلومات الوثيقة عنه لم تزل بدائية ، ولان ما يذاع عنه لا يقصد به غير الدعاية . . . حتى الآن

(٢) ٨١٨ الف دونم تقع فى وادى الاردن ، وفى الجانب الغربى فقط

(٣) يبلغ مجموع التكاليف ٣٨٨ مليون دولار فى التقرير الاول و ٢٤٠ مليون دولار فى التقرير الثانى

تكلفة الدونم الواحد نحو ٧٥ دولار، وهذه تكلفة مرتفعة حتى بالقياس إلى الولايات المتحدة حيث بلغ متوسط نفقة استصلاح وري الدونم الواحد عام ١٩٤١، ٧٠٠ دولار، ولم تتجاوز تكلفة استصلاح الدونم فيها ٢٧١ دولارا، ووصلت فى بعض الاماكن إلى ١١ دولار.

الأغراض الصناعية

وتتلخص فى حفر قناة بين البحر المتوسط والبحر الميت، لتعويض النقص فى ماء الاخير وتوليد القوة الكهربائية من مسقطه، وهكذا تبدو نية إلغاء محطة توليد الكهرباء المقامة فى «تل أور» اليوم. وحسب هيز قدرة الكهرباء الممكن توليدها بهذا السبيل بنحو ١٣٠ ألف كيلووات، تعطينا قوة قدرها ٥٥٠ مليون كيلووات فى الساعة، ويمكن أن يباع منها ٤٥٠ مليون، ويستفاد من الباقى فى أغراض المشروع. وتقدر تكلفة توليد الكهرباء وتوزيعها بـ ٤٨٠ دولار للكيلووات الواحد، بينما تبلغ تكلفته فى المشروع المقترح لحوض «وادى الميسورى» ٣٤٤ دولار، ولا تتجاوز فيما هو جار فى وادى التنيسى ١٧٦ دولارا.

وقد رسمت طريق القناة بحيث تبدأ من حيفا متجهة إلى الجنوب الشرقى، وتقترب من نهر الاردن عند وادى «ابن سدره» شمال نهر الفارعه، حيث تقام محطة كهربائية، ثم تتجه جنوبا وتمر إلى الشرق من أريحا لتصب فى البحر الميت فى مكان يقع جنوب «كاليا» بعدة أميال.

مراحل المشروع

ويقترح تنفيذ هذا المشروع على مراحل تستغرق عشر سنوات،

يستفاد فى المرحلة الأولى من المياه الباطنية فى الآبار والينابيع ، ويليها العمل على الانتفاع من مياه الروافد الشمالية لرى أراضى الحوله ومرج ابن عامر ، مما ينطوى على احتمال الاستفادة من مياه منابع الأردن داخل الأراضى اللبنانية استنادا على مضمون الاتفاقية الانجلو - فرنسيه المنعقدة فى عام ١٩٢٠(١) . وفى المرحلة الثالثة يقام سد على نهر اليرموك بين الحدود الأردنية الفلسطينية لأخذ نصف مياهه وترك الباقى لرى نحو ١٧٠ ألف دونم فى شرق الاردن ، على أن تساهم حكومة شرق الاردن بنصف نفقاته ، وفى المرحلة الرابعة تحفر القناة من البحر المتوسط . . . وأخيرا يقام السد على الأردن الأدنى عند أريحا . . .

وبذا يتضح أن هذا المشروع لا يكاد يختلف عن مشروع (٢) لودر ملك إلا فى تغيير موضع محطة توليد الكهرباء الرئيسية ، وفيما عدا ذلك يعتبر متمما له ومفسرا لما غمض منه .

كيف استقبل المشروع

وقد واجه المشروع حملة شعواء قامت بها الحكومة الفلسطينية أمام لجنة التحقيق الانجلو - أمريكية ، فانكرته وسفهته ، وقد حاول سافدج أن يرد عليها بكتاب وجهه إلى لجنة التحقيق جاء فيه :

« أن المشروع المقترح للرى وتوليد القوة الكهربائية ليس فريدا فى بابه من أية وجهة ، ولو وجد هذا المشروع فى منطقة ومناخ مشابهين فى

---

(١) سبقت إليها الاشارة فى صفحة ٩٨ .

(٢) يرى هيز أنه من الممكن أن يسد المشروع نفقاته خلال ٥٠ عاما وبفائدة سنوية قدرها ٣ ٪ ، وأنه لو وجد فى أمريكا لاعتبر مشروعا مرضيا للغاية .

الولايات المتحدة ، كما هو الحال فى كليفورنيا الجنوبية مثلا لتحقق منذ أكثر من جيل، والمظاهر البارزة فيه كانشاء السدود والنفق والأقنية ومحطات توليد الكهرباء ورفع الماء تعتبر أمور عادية فى الولايات المتحدة وفى بعض البلاد التى قامت بمثل هذه المشروعات ».

وفى رأينا أن هذا الرد ينطوى على أنكار خيالى للأوضاع الاقتصادية المحلية السائدة على جانبي الوادى ، وصادر عن تفكير استعمارى سافر ، لا ينظر إلى النهوض باقتصاديات هذه المنطقة بقدر ما ينظر إلى إيجاد منفذ يستغل فيه الرساميل الامريكية المتراكمة .

ولا يقتصر نقد هذا المشروع على ما أبديناه فقد ثار الخلاف فيما يتصل بالمرحلة الأخيرة منه ، إذ يرى البعض ، ومنهم خبراء « شركة المياه الفلسطينية » ، أنها خطوة لا لزوم لها .

مشروع شركة المياه الفلسطينية

وضع هذا المشروع مهندس الشركة VIELENCHUK فى أواسط عام ١٩٤٤ ، وينطوى على عدة مراحل تستغرق الأولى ثلاثة أعوام وتستهدف رفع الماء من اليرموك والاردن واستخدام ينابيع بيسان ، وتستغرق المرحلة الثانية ٣ أعوام أخرى ، وتنطوى على تجفيف حوض الحوله ، والمرحلة الأخيرة تستغرق فترة مماثلة ، وتهدف إلى استخدام موارد الأردن الأعلى بخزن المياه فى « سهل البطوف » الواقع إلى الغرب من بحيرة طبريا ، وكذلك سحب الماء من الأردن واليرموك عند مكان التقاءهما ، لرى الأرض غربى الغور الأدنى .

ويرى خبراء هذه الشركة بأنه ليست هناك ضرورة لحفر قناة تنقل

ماء البحر المتوسط إلى البحر الميت ، وذلك لأنهم يرون أنه لا بد من أن يقف أنكماش الاخير بعد مرحلة معينة فيستقر عند مستوى معين ، ويبنون هذا الرأى على أساس المعلومات التى وصل إليها خبراء شركة البوتاس الفلسطينية ، ومؤداها : أن البحر الميت يفقد من ماءه ٢٠٠٠ مليون مترا مكعبا فى العام ، أى ضعف كمية المياه التى يتلقاها من نهر الأردن فى المدة نفسها . فلو استخدمنا جميع موارد الاردن لأغراض الرى لانكمش ماء هذا البحر لنصف حجمه الحالى ، ومن شأن ذلك أن يزيد من ملوحته ويقل معدل البخر فيه ، فلا يكاد يتجاوز ما تنقله إليه الجداول الجانبية والينابيع الباطنية، وبذلك يصل إلى حالة توازن لا ينخفض بعدها مستواه ، ويقدرون الزمن اللازم لتمام هذا التوازن بنحو ٨٠(١) عام ، ينخفض مستوى البحر خلالها ١٤٨ قدما أخرى وتصبح مساحته ٢٣٢ ميلا مربعا ، ويرون أن الانخفاض سيكون سريعا فى البداية وينقص معدله بتوالى الوقت ، وستجف بنتيجة ذلك جميع المنطقة الواقعة جنوبى اللسان فى فترة ١٠ - ١٥ عاما .

وسيكون لهذا كله تأثير سيء على شركة البوتاس ، يتجلى فى اضطرارها لتغيير موضع مؤسساتها ومبانيها ، وفى اضطرارها لرفع الماء المشبع بالاملاح من عمق ٢٠٣ قدم بدلا من عمق ١٧٥ قدم كما كانت الحال إلى وقت قريب فى الأحواض الشمالية .

غير أن هناك لفيفا من الخبراء ينادون برأى مخالف لكلا الرأيين

---

(١) يلاحظ هؤلاء الخبراء ، بأن هذا الرقم يحتمل تغييرا طفيفا فيما لو تغير معدل الرطوبة أو الجفاف السائدين من حالها .

السابقين ، لا يعنيهم توقف البحر الميت عن الانكماش ، ولا التأثير السيء الذى يحتمل أن تحدثه مياه البحر المتوسط فى تركيب املاحه فيطالبون برفع مستواه عما هو عليه الآن .(١)

مشروع شركة ميكيروث للمياه

أعلن هذا المشروع فى عام ١٩٤٤ . وينطوى على الاستفادة من مياه نهر الدان وبانياس والحاصبانى ، وفيضانات الحوله والبرموك . وكذلك يقترح تحويل الماء من البحر المتوسط فى قناة إلى البحر الميت لتوليد القوة الكهربائية وتعويض ما ينقص من ماء البحر الميت . . .

وقد وضع S. BLASS مشروعا لهذه الشركة يشتمل على تحويل ماء النهر فى قناة تجرى فى أراضى الحوله ومرج ابن عامر ، وكذلك رفع الماء من الأردن شمالى البحر الميت لرى الأراضى المتاخمة على الجانبين . وأخيرا محاولة حفر الآبار فى وادى العربه .

ويقترح هذا المشروع توليد قوة كهربائية تبلغ ١٥٠٠ مليون كيلووات ساعة فى العام ، وذلك بشق نفق من البحر المتوسط عند عكا والسير به إلى الشمال من بحيرة طبريا ومن هناك حتى البحر الميت تقام ١٨ محطة كهربائية يبلغ مجموع ما تولده فى العام ١٦٨٠ مليون كيلووات ساعة . يستهلك منها ١٨٠ مليون لرفع الماء ويؤخذ الباقى للأغراض الأخرى . ويقترح BLASS أن يؤخذ منها ٨٠٠ مليون لأغراض الرى .

---

(١) راجع صفحة ١٥٦

مشروع استصلاح أراضى الحوله

عنيت شركة توسيع الأراضى الفلسطينية باجراء مباحث لاستغلال أراضى هذه المنطقة ، فكلفت مؤسسه RENDEL, PALMER AND TRITTON بوضع عدة دراسات تتصل بتجفيف واستصلاح هذه الأراضى ، وقد أجرت هذه المؤسسة مباحثها عام ١٩٣٥ ، واقترحت حفر قناة طولها نحو ٣ أميال إلى الجنوب من بحيرة الحوله ، وكان مشروعها يهدف إلى تجفيف المستنقعات ومساحتها ٢١٥٠٠ دونم ، وتعميق الاستفادة من الأراضى القابلة للزراعة ومساحتها ١٨٥٠٠ دونم .

وقدرت تكاليف استصلاح الدونم الواحد هنا بين ٩٦ - ١٢٠ دولار. أما هيز فقد أشار فى مشروعه إلى تجفيف المنطقة كلها بما فى ذلك الأرض التى تغطيها البحيرة ، غير أنه قدر نفقة استصلاح الدونم بـ ٧٥ دولار .

مشروعات الاردن وهيئة وادى التنيسى

والآن بعد أن استعرضنا وصفا سريعا لهذه المشروعات الشاملة نرى أنه لا بد لنا من أن نعنى بالتساؤل الذى أثير منذ عهد قريب :

هل يتيسر القيام فى وادى الأردن بمشروع يماثل ذلك الذى قام فى وادى التنيسى ؟

للإجابة على ذلك نشير أولا إلى أن لودر ملك هو أول من وجه الالتفات إلى إقامة هيئة لوادى الاردن J. V. A. بعد رحلة جوية قام بها - فوق الوادى - أوحت إليه بامكان القيام بمشروع يماثل المشروع الأمريكى فى نطاقه وأهميته :

« COMPARABLE TO OUR T. V. A. IN SCOPE AND IMPORTANCE. »

وهنا نتساءل، حقيقة هل تناظر المشروعات الشاملة المقترحة T. V. A. فى نطاقها وأهميتها ؟

نجيب بالنفى لأننا لو نظرنا إلى وادى التنيسى من الناحيـة الجغرافية لوجدنا أن مساحة حوضه تتجاوز ٤٠ ألف ميلا مربعا معظمها فى متناول ماء النهر، أو تتلقى المطر الكافى على الأقل ، فى الوقت الذى تبلغ فيه مساحة حوض الأردن ٤٢ كيلومترا مربعا . لا تتجاوز الأراضى التى يمكن ريها من ماء النهر ½ هذا الرقم بل دون ذلك بكثير أى المساحة التى تشكل وادى الأردن نفسه، بالاضافة إلى هذا يبلغ طول المسافة الصالحة للملاحة وحدها فى نهر التنيسى ٤٦٤ ميلا بينما لا يتجاوز طول الأردن من أقصى منابعه إلى مصبه ١٥٧ ميلا .

وإذا نظرنا إلى الجوانب الاقتصادية، لوجدنا أن مساحة الأراضى القابلة للزراعة سقيا عنـد بداية العمل فى هيئة وادى التنيسى ما كانت تقل عن ٣٤ مليون دونم تمت زارعة أكثر من نصفها حتى اليوم ، فى الوقت الذى لا تتجاوز مساحة الأراضى الزراعيـة والقابلة للزراعة جميعا فى وادى الأردن ½ ٢ مليون دونم على أكثر تقدير . هـذا بجانب صلاحية معظم مجرى التنيسى للملاحة واستحالتها فى مجرى الأردن ، وكذلك زيادة عدد السكان فى حوض الأول عن الثانى فبينما لم يكن يقل عدد سكان وادى التنيسى عند بداية المشروع عن مليونين ، لا يتجاوز عدد سكان وادى الاردن ١٥٠ ألف شخص على أكثر تقدير .

ولدينا مثل بسيط يتبين منه البون الشاسع فى نطاق المشروعين وهو القدرة الكهربائية CAPACITY التى تولدها خزانات التنيسى وتبلغ ½ ٢ مليون كيلووات فى الوقت الذى لا تتجاوز فيه القدرة التى يولدها أكثر المشروعات تقديرا لوادى الأردن ٢٠٠ ألف كيلووات .

وثمة نقطة رابعة أساسية لا بد من أن نشير إليها وهى أن الغاية الرئيسية لهيئة وادى التنيسى انصرفت إلى توليد الكهرباء ومن ثم لتيسير الملاحة وأخيرا لكبح جماح الفيضانات واستغلالها فى الزراعة ، فبينما بلغ مجموع ما أنفق على توليد الكهرباء حتى نهاية عام ١٩٤٤ ، ٠,٦٥ من جميع نفقات المشروع أى نحو ٤٥٠ مليون دولار ، لم يتجاوز ما أنفق على استصلاح الأرض طوال هذه المدة ٣٩,٨٠٠,٠٠٠ دولار .

هذه الأرقام تعتبر أبلغ دلالة على أن المشروع صناعى فى أساسه وإن كانت له أهداف زراعية أخرى ، وليس فى نجاحه الصناعى ما يزكى نجاح مشروع آخر تستأثر الزراعة بنحو ٠,٨٠ من النفقات المرسومة له .

ومع ذلك يصر لودر ملك على أن مشروع J. V. A. يناظر T. V. A. فى نطاقه .

وإذا نظرنا إلى أهمية المشروعين ، نرجو أن يكون واضحا فى ذهن القارىء أن الحكومة الأمريكية عندما بدأت فى القيام بهذا المشروع كانت تواجهها مشكلة القضاء على البطالة واستغلال مصانع النيترات التى تمتلكها فى هذه المنطقة ، وأخطار الفيضانات التى يحملها نهر التنيسى إلى وادى الميسورى، فحاولت أن تقضى على الأولى باتباع سياسة المشروعات العامة PUBLIC WORKS التى تنطوى على الاغداق فى الانفاق لتشغيل العاطلين

ولم تلبث بقية الأهداف والأغراض أن نمت ووضحت بعد ذلك ، فعين روزفلت مجلس إدارته وأعطاه سلطة كاملة تقارب ما يتمتع به أصحاب المشروعات الحرة ، وأخذ الكونجرس يمنحه المبالغ التى يتطلبها نجاحه باعتباره مشروعا يمس السلامة الوطنية، وقد عنت إدارة روزفلت بالدعاية الفائقة له وجهدت فى إبراز روحه التى انطوى عليها باعتباره وسيلة لحل مشكلة الحرية الفردية والتوجيه الاقتصادى السليم . وتبدو هذه الفكرة بشكل جلى من الاسم الذى وضعه « د . ليلينثال » ـ أحد رؤساء مجلس إدارة الهيئة السابقين ـ لأشهر كتاب وضع عنها بعنوان: T.V. A. DEMOCRACY ON THE MARCH « الديموقراطية تسير قدما » . وكان مما أكد تمسك الأمريكيين بهذه الناحية ، رغبتهم فى إيجاد تنظيم وطنى يقف بازاء نظام مشروعات السنوات الخمس التى ابتدعها النظام السوفيتى وعمت دولا مختلفة من بعده .

معظم هذه الشروط لا تتوافر فى المشروعات المتقدمة التى عرضناها لأنها لا تستهدف، كما كان الواجب ، الارتقاء بمستوى معيشة منطقة معينة وتنمية مواردها لأقصى حد ، وانما تقصد نقل بيئة صناعية جديدة بتقاليدها الغريبة لتستأصل بيئة أخرى وتحل محلها . فليس الحافز من وراء هذه المشروعات ، المذهبية الديموقراطية التى اصطبغ بها المشروع الامريكى باعتباره مشروعا قام ليستغل الموارد الطبيعية وفق نهج خاص ، انما أكتفى فيها بنقل الصورة الخارجية الآلية لذلك المشروع لأغراض استعمارية بشعة .

هذه الأسباب جميعا ، فضلا عن الافتقار إلى الحافز الديمقراطى الشعبى

الحقيق ، وانقسام حوض الوادى بين دول متعددة - تفرض كل شخصيتها على جانب منه - تفتقر إلى المقدرة الاقتصادية للقيام بمثل هـذه المشروعات، تدعونا إلى التشكك فى إمكان انفاذ مشروع لوادى الأردن على نسق المشروع الأمريكى T. V. A. فى نطاقه وأغراضه .

وأخيرا نرجو ألا ينصرف ذهن القارئ إلى أننا نعادى تصنيع هذا الوادى إذ لا جدال فى حيوية ذلك للنهوض بأحوال سكانه . ولكننا نقدنا المشروعات الاستعمارية المتقدمة لنبين عدم تشابهها فى النطاق والأهمية والغايات البعيدة مع مشروع هيئة وادى التنيسى ، ولنطالب برسم مشروعات جديدة واسعة النطاق تستند على دعائم صحيحة من الواقع وتخلو من المبالغات والدعايات المغرضة هادفة لرفع مستوى الشعب العربى على الجانبين .



الفصل الثانى

مشروعات المواصلات

الفصل الثانى

مشروعات المواصـــلات

يرجع التفكير فى إنشاء طريق مائى يصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر خلافا لقناة السويس ، إلى أواخر القرن الماضى . وقد عاد البحث فى هذا المشروع وصار يشغل الرأى العام البريطانى أيام احتدام الصراع الايطالى الحبشى ، وخصوصا وقد اقترب موعد انتهاء أجل امتياز قناة السويس

وبرزت الفكرة فى مشروعين مختلفين يرميان إلى حفر قناة تبدأ من مكان ما على البحر المتوسط لتصل إلى العقبة على طرف الذراع الأيمن للبحر الأحمر :

المشروع الأول بين غزة والعقبة

يمتاز هذا المشروع بقصره ، لكنه معقد جدا من الناحية الفنية ، إذ لا بد لنجاحه ، من إقامة نظام الأهوسة يتفادى العقبات الطبيعية التى تعترضه ، ورفع المياه إليها من البحر .

ويرى أصحاب هذا المشروع وصل العقبة بنقطة ما قرب غزة فى مسافة طولها نحو ٢٥٠ كيلومترا . فتبدأ القناة من غزة فى اتجاه جنوبى شرقى لتصل إلى وادى العربه ومن هناك تنحدر نحو الجنوب فى منخفض خليج العقبة . وقدرت تكاليفه بنحو ٥٠٠ مليون جنيه .

المشروع الثانى بين حيفا والعقبة :

وهذا المشروع أطول من سابقه غير أنه يحتمل أن يكون أقل نفقة .

ويقترح واضعوه حفر قناة تبدأ من حيفا وتسير فى مرج ابن عامر حتى تصل إلى وادى الأردن ومن هناك تنزل مع مجرى النهر فى الاردن الأدنى فالبحر الميت ووادى العربه . ويقدرون طولها بنحو ٤٠٠ كيلومترا ، مما يجعلها - لو تحققت - أطول طريق صناعى مائى فى العالم كله .

وقدرت تكاليفه تقديرا ابتدائيا بنحو ١٧٠ مليون جنيه . وأكبر من ينادى بهذا المشروع اليوم، الدكتور A. WEBER ويقصد بمشروعه ملأ البحر الميت بالماء غير محتفل بالتأثير الذى يحتمل أن يحل باستخراج أملاحه، موجها اهتمامه لتوليد القوة الكهربائية واستغلال البحر كطريق مائى .

هذا المشروع تعترضه عقبات أيضا ، بعضها طبيعية واقتصادية وأخرى سياسية ، وأهم العقبات الطبيعية انخفاض مستوى البحر الميت ، وارتفاع مستوى وادى العربه .

وتبدو العقبات الاقتصادية فى ضخامة المشروعين مما يكسبهما مسحة خيالية ، فيدفع إلى الاعتقاد باستحالة تنفيذهما ، لولا أن نجاح تجربتى قناة السويس وبنما لم تترك ما يستحيل على المال وفنون الهندسة ، الوصول إليه . هذا علاوة عن المقاومة العنيفة التى لابد أن يبديها أصحاب امتياز قناة السويس وأصحاب شركتى البوتاس الفلسطينية وشركة الكهرباء الفلسطينية

وتبدو العقبات السياسية فى المقاومة التى قد تبديها الدول التى يعنيها الأمر، كمصر مثلا .

ومع كل هذا ، فليس بمستبعد أن تنقلب الأحوال، فتستقر صلات بريطانيا وامرائيل ، فتشترك مع الولايات المتحدة فى انفاذ أحد هذين المشروعين .

القسم الرابع

مقـــــترحات . . .

مراجع القسم الرابع

بالعربية

١ — القانون الاداري دكتور وحيد رأفت

بالانجليزية

٢ — U. N. O. ECONOMIC REPORT 1945 – 1947

٣ — A. H. HANSEN

AMERTCA'S ROLE IN THE WORLD ECONOMY.

٤ — THE WORLD ALMANAC 1947

٥ — N. BENWICH: FROM GENEVA TO SAN FRANCSCO



عالجنا فى الفصول المتقدمة الأسس الرئيسية التى قامت عليها مختلف الخطط التى وضعت لاستغلال هذا الوادى ، ومن ذلك العرض يتجلى لنا أن المشروع الذى وضعه أيونيدس قبيل الحرب الأخيرة لشرق الأردن - على فائدته - مشروع ضيق النطاق محدود الأهداف . وأن المشروعات الأخرى تقوم لأغراض اعتدائية على أسس غير دقيقة، القصد منها رسم صورة استيعابية لا حد لها لامكانيات هذا الوادى ، وأن القيام بها كما وضعت على الورق أمر لا نرى فيه غير ذريعة لمد سيطرة اسرائيل بتفوقها الفنى الراهن على رقعة أوسع تتناول جانبا كبيرا من أراضى شرق الأردن .

وفى هذا الوضع من الخطورة ما يدفعنا إلى الانصراف عن التفكير فى القيام بمثل هذه المشروعات مهما كان مقدار النفع المأمول من ورائها.

وهنا لا بد من أن يعرض لنا هذا السؤال . ما هى إذن السياسة الواجب علينا سلوكها فى سبيل النهوض بموارد هذا الوادى لمصلحة الشعب العربى على الجانبين ؟

للاجابة على هذا السؤال نبادر إلى القول أولا بأن البيانات الاحصائية التى يناط بها استغلال هذا الوادى لا تتوفر الآن بالدرجة الكافية ، نقول هذا مع تقديرنا بكل احترام المجهودات الجبارة التى حققها م . ج . أيونيدس والحقائق الجيولوجية التى جمعها ج . س . بليك منذ نحو عشر سنوات ، فإن وادى الاردن على وجه الخصوص لم يزل يفتقر إلى المساحة الجيولوجية والمائية الوافية كخطوة أولى فى سبيل أى مشروع سليم القصد ينعقد الرأى على انفاذه .

وهنا نقترح تكوين لجنة عالمية تضم خبراء متعددى الجنسيات

والخبرة ، يقومون بجمع تلك المعلومات الوافية ليضعوها أمام لجنة اقتصادية يجرى تكوينها على نفس النسق كيما تقوم بدورها بوضع خطة لاستغلال هذا الوادى مبينة أوفق السبل لتنمية موارده وأقربها وأسرعها للسمو بمستوى العيش بين سكانه على الجانبين .

ونرى أن الخطوة التالية تجىء بأن تولى الحكومة عنايتها التامة بهذا الوادى وذلك بإنشاء وزارة جديدة تعرف باسم « وزارة وادى الأردن » تكون رسالتها العناية بكل ما يتصل بالوادى من نواحى اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية ، وأن يرأس وزيرها مجلسا نقترح تسميته باسم « مجلس وادى الأردن » على أن يضم ممثلين حقيقيين لمختلف العناصر الوطنية التى يعنيها أمر هذا الوادى ، من ممثلين عن البرلمان إلى ممثلين عن الزراع ، إلى ممثلين عن ملاك الأراضى فيه ، إلى ممثلين شعبيين ينتخبون بطريقة خاصة ، فضلا عن عدد من الفنيين العالميين ذوى الخبرة تقتصر واجباتهم على الإشارة ولا يكون لهم حق فى التصويت .

وتأتى الخطوة الثالثة ، بالعناية برسم تنفيذ المقترحات المقدمة على سنين ، سيرا مع ركب الاقتصاد المنهاجى ذى الخطط المرسومة الذى شاع الأخذ به فى جميع الاقتصاديات العالمية بدون استثناء ، فتجرى أولا أغراض تنمية الزراعة وتعميم الوسائل الميكانيكية فيها ، ثم نشر الخبرة الفنية بين المواطنين ، وتشجيع نمو الرساميل المحلية ، وتنظيم شبكة سهلة للمواصلات تربط مختلف جوانب الوادى ببعضه .

وتجىء بعد ذلك الخطوة الرابعة ، بالمبادرة إلى تصنيع الوادى بتوليد القوة الكهربائية والعناية باستغلال موارده التى يثبت جدوى استغلالها بجانب موارد البحر الميت .

غير أننا فى هذه المرحلة نجد أنفسنا فى مواجهة مشكلات متعددة منها :

أولا - الامتيازات الممنوحة فى قلب الوادى .

ثانيا - مشكلة قيام دولة اسرائيل واستحواذها على جانب كبير منه .

ثالثا - مشكلة اللاجئين واتصالها بأشكال الملكية المتعدده .

رابعا - مشكلة تمويل مختلف الأغراض المقترحة .

أولا - الامتيازات

إذا نظرنا إلى الامتيازات الممنوحة فى الوادى فاننا نرى المبادرة - كما أشرنا قبلا - إلى السعى بكل وسيلة لإلغاء ما ثبت ضررها بمصالح البلد أو على الأقل تقييد ضررها فى أضيق نطاق مستطاع ، ونعنى بذلك « شركة روتنبرغ » ، وفى اعتقادنا أن تسويةهذه المسألة أمر ليس بالصعوبة بمكان خصوصا وأنها لا تستنبط غير ½ قدرتها الكهربائية من مياه هذا النهر . وكذلك الشأن فى حالة البحر الميت ففى يدنا سلاح قوى نستطيع التهديد به وهو السعى لتكوين شركة تساهم فيها الحكومة لاستخراج الأملاح على شاطئه الشرقى ، والامتناع عن توريد الماء اللازم لحاجات الشركة إن امتنعت عن الموافقة على تسوية تضمن للحكومة الأردنية عوائد أجزل ، وتخضع أرباح الشركة للضرائب التى لا بد منها لحفظ هيبة الدولة وسيادتها ، وأما الفوائد التى تجنيها شركة البترول العراقية ، والانجلو - ايرانية والتى يمكن التلويح بها لهذا الغرض فهى لا حصر لها .

ثانيا - مشكلة قيام اسرائيل

نظرة واحدة نلقيها على الخارطة المثبتة على صفحة ٨٩ ، تبين بما لا يحتمل الجدل أن القيام بمشروع شامل لاستغلال حوض الأردن

م - ١١

كله كوحدة اقليمية لا يعنى إلا مد سيطرة اسرائيل على مناطق عربية متسعة بعيدة عن هيمنتها الآن .

وتفاديا لهذا الوضع ، نقترح إنفاذ مشروع تهيمن عليه الحكومة الأردنية،خصوصا إذا ذكرنا أنها تهيمن على شرق الوادى كله وعلى مياه اليرموك جميعا وكل ما تستطيع اسرائيل أن تفعله هو الاستحواذ على موارد النصف الغربى من نهر الأردن الواقع بين طبريه وغور طوباس وكذلك جانبا من النصف الغربى من البحر الميت . هذا إذا ظلت الأمور السياسية والعسكرية على حالها، وليست هناك ضرورة ملحة بعد ذلك للقيام باستغلال الوادى كوحدة طبيعية اقليمية ، وإنما يمكن استغلال جوانب متسعة تشمل معظم أنحاء الوادى وفق اقتصاد منهاجى مرسوم(١) .

ثالثا - مشكلة اللاجئين

من المسائل التى تعوق الوصول لعلاج حقيق لهذه المشكلة عدم الحصول على معلومات احصائية كاملة عن المناطق التى يتوزع هؤلاء فيها .

وأول مشكلة تواجهنا ،هى هل نعمل على استيطانهم فى البلاد التى حلوا بها أم نعمل لعودتهم إلى بلادهم التى أجبروا على النزوح عنها ؟

فإذا أخذنا بالرأى الأول يبدو لأول وهلة أن تسوية هذه المشكلة أمر يسير يتلخص فى عوامل ثلاث تحدد قدرة الوادى على استيعابهم ، هى: المساحات القابلة للزراعة ، والمياه المتوافرة لريها ، والأموال اللازمة لذلك سواء كانت أهلية أم أجنبية .

---

(١) وقد يشجعنا على هذا عدم شمول أغراض بنك التعمير الدولى لتمويل استغلال أحواض الاودية التى تشترك فيها أكثر من دولة واحدة راجع «د . ج . ه . كول » فى كتابه « النقود حاضرها ومستقبلها » طبعة ١٩٤٧

إذا نظرنا إلى أول هذه العوامل نجد أن مساحة الأراضى القابلة للزراعة شرق الوادى وغربه والتى تهيمن عليها الادارة الأردنية لا تتجاوز ٥٥٠ ألف دونم على أكثر تقدير ، فلو افترضنا قيام مزارع متماثلة الطراز على جميع هذه المساحة بحيث لا تتجاوز مساحة المزرعة الواحدة ٣٥ دونم لكل عائلة تتكون من أربعة أشخاص ، نجد أن هذه الأراضى لا يمكن أن تستوعب أكثر من نحو ١٥٧٠٠ عائلة أى نحو ٦٣٨٠٠ لاجئا بين طفل وامرأة ورجل .

وإذا انتقلنا إلى التكاليف نجد أن التكاليف اللازمة لرى جميع الأراضى التى يمكن ريها فى الغور الشرقى والتى تبلغ نحو ٣٥٠ ألف دونم هى ٣٢ مليون دولار بحسب مشروع «أبو نيدس» مع تكييفه وفق الأسعار الحالية ، ومن ناحية أخرى نجد أن رى نحو ٢٠٠ ألف دونم غربى الأردن الأدنى بإقامة سد عبر الاردن قرب أريحا يبلغ نحو ١٥ مليون دولار حسب تقديره هيز «بجانب نفقة سنوية تبلغ نحو المليون ومن هنا يبدو أن تكاليف استيطان هذا العدد منهم بالوادى تبلغ نحو ٥٠ مليون دولار لا يمكن للرساميل المحلية تحمل أى جانب منها .

غير أن هذه المسألة لا تحل بمثل تلك السهولة لأنه لا بد أن يكون لها نتائج اجتماعية وسياسية واقتصادية بالغة الأثر لا يصح إغفالها ، ترجع إلى أن الوادى هو المجال الحيوى لتقدم شرق الأردن الاقتصادى ، كما تؤثر على أملاك الدولة وترفع قيمة الملكيات التى يمتلكها الأفراد فيه نتيجة للقيام بمشروع عام تموله الخزانة الأردنية . وآثار ذلك عميقه على تركيب البلد الاجتماعى.

وهنا نقترح أن تقلع الحكومة الآن عن تأجير الأراضى بثمن بخس

توطئة لتملك الأفراد لها إذ أننا نرى أن هناك من الوسائل مايجدر اللجوء إليها لاستصلاح الأرض ، منها الدعاية وتقديم المشورة الفنية وبعض القروض القصيرة ، وإشاعة روح المصلحة العامة فى هذا الوادى .

ويشجعنا على هذا ، حقيقة أن امتلاك الحكومة بصورة نهائية لأكبر مساحات ممكنة فيه لا بد من أن يزيد من قدرتها على الاشراف الدقيق والتوجيه الصائب لأى مشروع تضعه فى المستقبل . ويكفى أن تشجع الأفراد على استغلاله لقاء الفوائد السنوية التى يجنونها منه خصوصا وأن وادى الأردن ثروة قومية تهم الأردنيين جميعا لا بد من أن يسير تقدمه على أساس قومى تمده الخزانة العامة . ونرى اعتباره فى حكم المناجم من الواجب الاقتصار فى استغلاله على منح الامتيازات أو تأجير الأرض فيه لمدد معينة مما يجعل يد الدولة هى العليا لانفاذ أى عمل يتطلبه الصالح العام.

وليس ما نقترحه بالأمر الغريب ، لأن قيام الحكومة بمثل ذلك أمر واجب نظرا لأهميته للأمة وعدم امكان تأديته على الوجه الأكمل بدون تدخلها(١) ، بل أن « معظم الدول فى الوقت الحاضر تدير مباشرة علاوة على المصالح العمومية المعروفة . . . المصالح ذات الصبغة التجارية والصناعية . . . كالزراعة والنقل بالسيارات وبعضها يستغل فوق ذلك عددا من المناجم ويقوم باستخراج الكهرباء من مساقط المياه . . . (٢) » بل أن القانون الفرنسى الصادر فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩١٩ ينص على أن القوة الكهربائية الكامنة فى مساقط المياه هى ملك للدولة ولا يمكن

---

(١) و (٢) دكتور وحيد رأفت فى كتابه « القانون الادارى »

استغلالها إلا بترخيص منها وبناء على عقد امتياز . . (١) » .

وهكذا نفضل أن تجرى الحكومة منذ الآن على تنظيم استغلال هذا الوادى بأذونات تعطيها للأفراد أو الشركات لاستغلال(٢) موارده الطبيعية ومن بينها الماء والأرض . وفى هذه الحالة يستغل الفرد أو الشركة المشروع لحسابه الخاص خاضعا للقيود العادية فى استغلاله حماية للمصلحة العامة .

وأخيرا نرى أن هذا أمر واجب فى بلد يعتبر من أكثر بلاد العالم حاجة للارض الزراعية وافتقارا لموارد الماء.

---

(١) دكتور وحيد رأفت فى كتابه « القانون الادارى »

(٢) يطلق البعض كلمة الامتياز على الاذن الصادر من الادارة الى أحد الافراد أو الشركات لاستغلال مورد من موارد الثروة الطبيعية . ونأخذ بهذا المعنى

رابعا — مشكلة التمويل

لا شك أن الاقتصاد الأردنى، ولم يزل فى أول مدارج نموه، لا يحتمل أى قرض داخلى يعقد لتمويل هذه المقترحات، فلا بد لنا إذن من أن ننصرف شطر المنظمات الدولية التى تعنى بمثل هذه الأغراض ولنرى إذا كان فى قدرتها أن تمد لنا يد العون.

أولا - البنك الدولى للإنشاء والتعمير.

ويعنى بصورة أساسية بتمويل المشروعات التى تقوم على أسس سليمة، ولا تجد لأسباب متعددة، الأموال اللازمة لها بسعر معقول فى أسواق المال. وهو مؤسسة تعاونية لا بد من أن يساهم جميع أعضاءه فى رأسماله وأن لم تستوى قيمة حصصهم، ولا يقدم العون إلا للدول الاعضاء أو لمن يضمنهم أحد هؤلاء. ولا يعتمد على أمواله فى عمليات الاقتراض التى يعقدها وإنما يضمن بمعظمها الاستثمارات الخاصة التى يستطيع أن يقنع أصحابها بسلامة المخاطرة التى تتعرض أموالهم لها. ويهدف - بجانب صندوق النقد الدولى - إلى المساهمة فى إعادة الاستقرار للحياة الاقتصادية الدولية ورسم الخطط لتنسيق الاستثمار الدولى عن طريق منظمة دولية ذات سلطان.

ويشترط البنك لعقد قروض أن يقدم المقترض ضمانات كافية تتناول سداد القرض، وأن ينال المشروع المراد تمويله موافقة لجنة مختصة يشكلها لهذا الغرض مع التثبت بأن ذلك المشروع لا يجد سبيلا آخر يحصل منه على المال اللازم بشروط يراها البنك معقولة.

وبالاضافة لما تقدم ، يشترط البنك لتقديم قروضه الموافقة على القيام باجراءات معينة أوحتها إليه تجاربه العملية ، أهمها :

(١) ضرورة استخدام القرض ليؤدى لأعظم نمو فى الانتاجية فى أقصر وقت .

(٢) ألا تستخدم أموال البنك لتخلص البلد المقترضة من اعباء فى مقدورها أن تتحملها ، إذ أن القاعدة عنده أن تتحمل الدولة المقترضة العبء الأكبر .

(٣) تدفع مبالغ القرض على دفعات محددة بفترات وينظر للدفعات التالية على ضوء النتائج التى حققتها الدفعات التى سبقتها ، غير أنه يخضع فى ذلك لتعديلات خاصة فى حالة المشروعات التى يتطلب انفاذها أجلا طويلا .

(٤) يشترط الرقابة على استخدام القرض فى الأغراض التى عقد من أجلها والتثبت من كفاية الأموال المقترضة للحصول على المواد اللازمة للمشروع المبينة فى عقد الاقتراض ، ومن أن تلك الموارد لا تستخدم داخل البلد المقترض لغير أغراض المشروع .

(٥) يجب أن يطلع البنك باستمرار على مدى تحقيق الاغراض التى عقد القرض من أجلها ولذلك يعنى بالاقتصاد القومى للدولة المقترضة بوجه عام لاتصال ذلك بضمان القرض ، وهكذا يتطلب دوام تقديم المعلومات الاحصائية ، والاستشارة بكل مايتعلق بالتطورات المالية الهامة فيها . ومن شأن ذلك إقامة اتصال وثيق بين البنك والدولة المقترضة أكثر مما ينشأ عادة بين المدين والدائن الأمر الذى يسمح به ، حقيقة أن البنك

بصورة أساسية ليس إلا مؤسسة دولية تعاونية ، تقرض الأعضاء المشتركين فيها أو الذين يضمنهم هؤلاء .

(٦) يتقاضى البنك سعرا لم يتجاوز حتى الآن ٣ ١/٤ ٠/٠ كفائدة فضلا عن عمولة قدرها ١/٢ ٢ ٠/٠ تستخدم فى مواجهة نفقات الاقتراض ومايفيض عن ذلك يكون بجانب منه احتياطى ويغطى بالباقى نفقاته المعتادة .

ويلاحظ أن الاقتراض من البنك يتطلب مباحثات سابقة تتناول البرنامج الاقتصادى ، ليس المشروع المراد تمويله فحسب ، وإنما فحصا شاملا للمركز الاقتصادى فى البلد المقترض واستطلاعا لزراعته وصناعته، وموارده الطبيعية ،لتجارته الخارجية ولميزان مدفوعاته ، ولأحواله المالية الداخلية خصوصا الميزانية والعملة ، فضلا عن سجل اقتراضه وسلوكه فى حالة العجز عن الدفع وعن المجهودات التى بذلها لتسويته مع دائنيه ، وفى الظروف العادية يدرس ممثلوا البنك فى داخل البلد الخطط والتكاليف المقدرة للمشروعات الهندسية مستعينين بخبراء فنيين لهذه الغاية .

وهكذا يبدو لنا أنه لا يمكننا الاستعانة بقرض من البنك الدولى للانشاء والتعمير قبل أن نضع المشروعات اللازمة ونتقدم خطوة جدية فى سبيل استغلال موارد هذا الوادى .

ثانيا — بنك واشنجطن للتصدير والاستيراد E. I. B.

تأسس منذ عام ١٩٣٤ وتحول منذ ١٩٤٥ إلى وكالة دائمة مستقلة شبه حكومية فى الولايات المتحدة ويتكون مجلس ادارته تكوينا خاصا بحيث يجعل للخزانة الأمريكية عليه اليد العليا .

يوجه هذا البنك همه إلى المساعدة على تمويل وتسهيل الصادرات والواردات بين الولايات المتحدة وتوابعها من ناحية، ومختلف الدول الأجنبية ومواطنوها ووكالاتها من ناحية أخرى، ويعقد القروض لهذه الغاية . وله الصلاحية فى القيام بالأعمال المصرفية العامةمن خصم وإعادة خصم أية أذونات وسندات وكمبيالات خارجية وأية وثائق اقتراض أو أن يشارك فى ذلك » .

ويبلغ رأسماله المصرح به ١٠٠٠ مليون دولار، يجب ألا تتجاوز القروض والضمانات التى يعقدها ثلاثة أمثال ذلك .

وهنا يبدو أن ليس فى مقدورنا الاستفادة من القروض التى يمنحها هذا البنك، ولم نضع بعد خطة جديدة نستغل بها أية موارد نمتلكها سواء فى البحر الميت أو فى أنحاء الوادى مما يمكن تصديره لقاء هذا القرض.

ثالثا — مشروع ترومان (١) الاقتصادى لمعونة الدول المتأخرة

أعلن الرئيس ترومان مشروعه فى ربيع هذا العام، هادفا من ورائه إلى مساعدة الدول المتخلفة فى اقتصادياتها وأحوالها الاجتماعية، مساعدة فنية ليست شبيهة بالعون الأمريكي لليونان وتركيا، ولا بمشروع مارشال . . . كل ما فى المشروع أن ترومان يرغب فى تقديم المساعدة الفنية لهذه الدول كيما تتهيأ لقبول رأس المال الأمريكى، ويساعدها على تنظيم الأمور الحيوية فيها، لتحسين طرق المواصلات، والوسائل

(١) استعنا ببعض معلومات نشرها الاستاذ زكى هاشم الخبير الاقتصادى للشرق الاوسط بهيئة الامم المتحدة فى جريدتى « الاهرام » و « المصرى ».

الزراعية . فأساس المشروع مراعاة تخلف الدول الزراعية فى اوضاعها الاقتصادية القائمة ، وضعف أنتاجيتها بالقياس للدول المتقدمة .

لجأت أمريكا لهذا المشروع محاولة أن تصدر رؤوس الأموال الفائضة فيها بعد أن أصبحت تشكل خطرا مستديما يتهدد اقتصادها بالبطالة .

خصص ترومان فى مشروعه ٤٨ مليون دولار للمعاونة الفنية ، ويشترط لتقديم هذه المعاونة أن ترصد الدول التى تفيد منها ، مبلغا من ميزانيتها يعادل قيمة العون الذى تتلقاه لتتفادى التضخم النقدى من جهة ولتستطيع أمريكا الانتفاع بشراء المواد الأولية من هذه الدول » .

وتتلخص الناحية المالية فى تخويل بنك التصدير والاستيراد ، سلطة ضمان الاستثمارات الخاصة فى الدول التى تستفيد من هذا البرنامج فيما يتصل بامكان تحويل الاستثمارات وريعها السنوى الى دولارات وتأمينها ضد المصادرة ونزع الملكية ، وأخطار الحرب ، وضرورة موافقة البنك على هذه المشروعات قبل تعهده بضمان الأموال المستثمرة فيها.

وهكذا يبدو أن مشروع ترومان - إن خلا من البواعث السياسية التى قد يشترطها كما لو اتخذ ذريعة للضغط على حكومة شرق الاردن لاجبارها على تسوية نهائية مع إسرائيل قد تكون فى غير صالحها - يحتمل أن يساعد على رسم خطط اقتصادية للنهوض بهذا الوادى والقيام بجانب من الاعداد للمشروعات الزراعيـة فيه . غير أنه لا يفى بتمويل أغراض أخرى كالمساحة الجيولوجية بحثا وراء المعادن الدفينة أو لتوليد الكهرباء كنواة لقيام بيئة صناعية ولو على نطاق محدود .

هنا لم يعد أمامنا - كما يبدو - غير أن نحاول تمويل هـذه الدراسات ووضع الخطط المقترحة بقرض نعقده مع دولة أجنبية ، ونحن نشك فى سلامة هذا التدبير ، إذ أن هذه الأموال لا بد أن تنفق على دراسات أولية غير منتجة - فى مرحلتها الأولى على الأقل - بطبيعتها ، فيتعذر السداد خصوصا والميزانية الاردنية لم تزل عاجزة عن أن تتوازن بدون العون الأجنبى ، وأن ميزانها التجارى طيلة الخمسة عشر عاما الماضية لم يكن فى صالحها .

فلم يبق أمامنا إلا مصدرين(١) : أولها الأرصدة المتجمعة لصالح عملتنا فى بريطانيا ، وهنا نقترح عدم التمسك بوجوب الاحتفاظ بغطاء يعادل كامل قيمتها بالاسترلينى فيكفى مثلا الاحتفاظ بـ ٠,٧٠ واستخدام الباقى لتمويل هذه الدراسات والخطط ، وبالاضافة لهذا نرى من الواجب استثمار جانب من أرباح مجلس النقد الأردنى المأمول فى سندات داخلية تصدرها الحكومة ، بما يعتبر مقدمه تشجع على عقد قروض داخلية فى المستقبل .

وثانيهما ، الضغط على الشركات صاحبات الامتياز للحصول على مبالغ تكفى لتمويل هذه الدراسات والخطط بحيث تجعلها متهيئة لتلقى العون المالى من الهيئات الدولية ذات الاختصاص.

وأخيرا نود أن نبين بأن القصد من هذه الملاحظات ليس رسم مشروع خاص أو مفاضلة مشروع على مشروع وإنما هى مقترحات سقناها نرجو

---

(١) بعد أن انتهينا من كتابه هذا الفصل ، اطلعنا على رسالة نقلها «الهلال المصرى» فى ١٩٤٩/٩/٧ للاستاذ سعيد حماده يبدى فيها رأيا مشابها، لتمويل مشروعات اصلاحية فى بلدان الشرق الاوسط .

الأخذ بها عند التفكير فى إنفاذ أى مشروع بوضع لاستغلال هذا الوادى بحيث يكفل لبلدنا الفلاح والازدهار ولشعبنا الرفاهية المادية والارتقاء الاجتماعى ، غير عابئين بما يروجه البعض من أن هناك فى بعض البلاد المجاورة مشروعات أجدى من الناحية التجارية وأقل تكلفة، إذ أن الوضع السليم للمشكلة - فى رأينا - ليس فى المفاضلة فى التكاليف بين بلد وآخر وإنما هى مشكلة اقتصادية قومية عميقة ترتبط بمضاعفة القدرة الانتاجية ورفع مستوى العيش فى كل بلد ، لا سبيل إلى الوصول اليها إلا بالتعمير والتصنيع الذى تظفر الشعوب بنتيجته بمستوى أرقى وحياة أرغد .

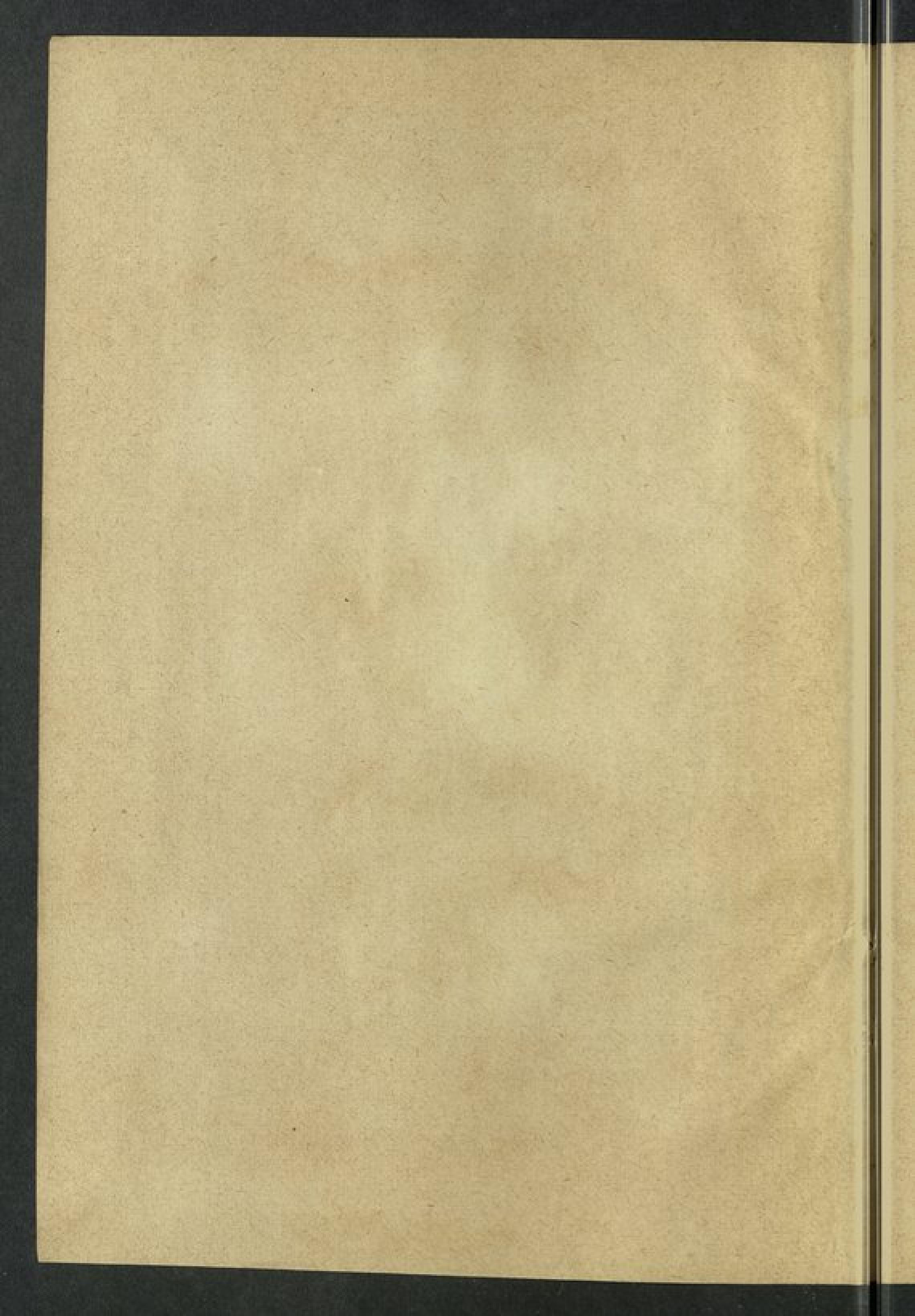
(انتهى)

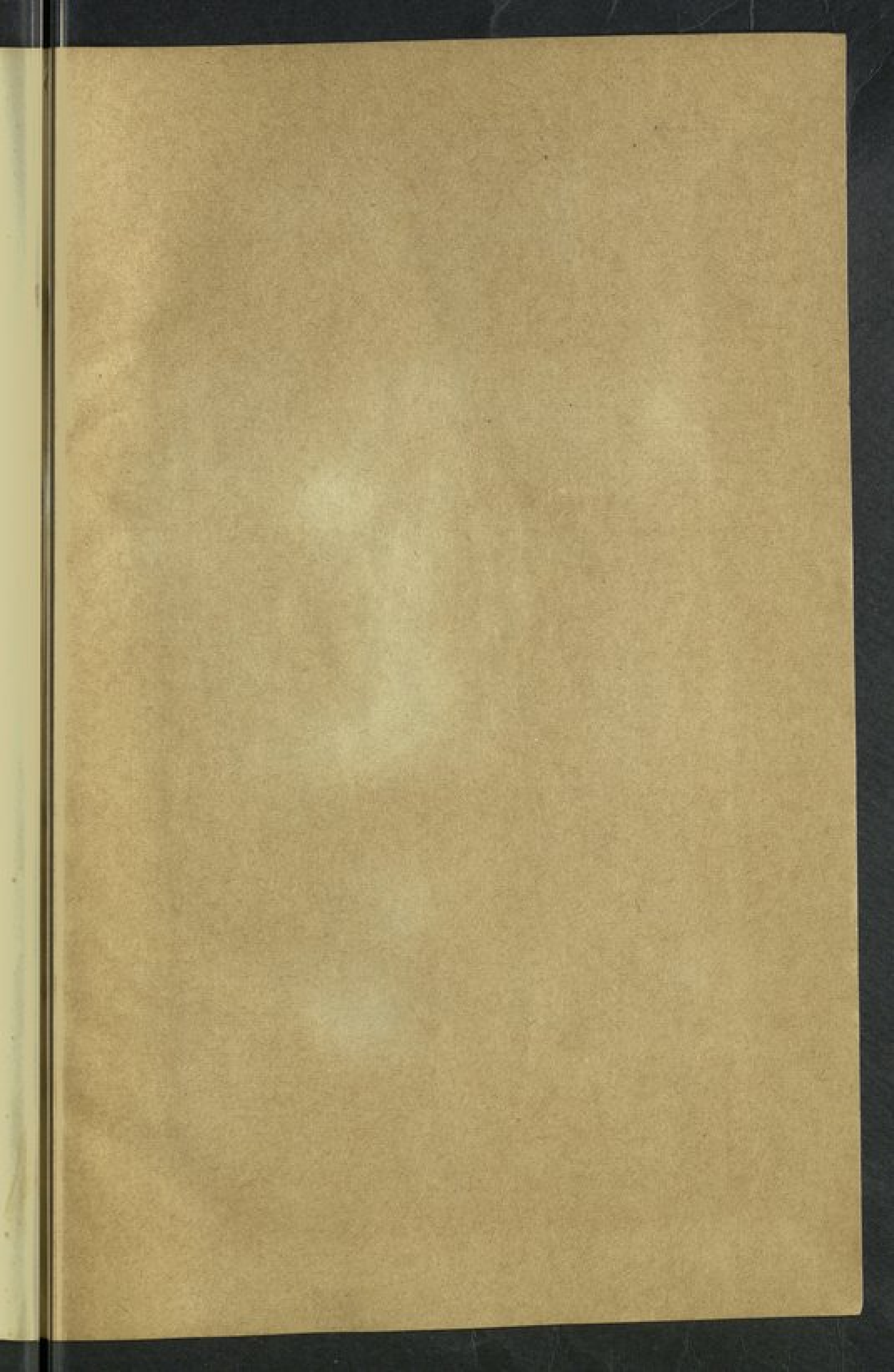
تصويب الأخطاء

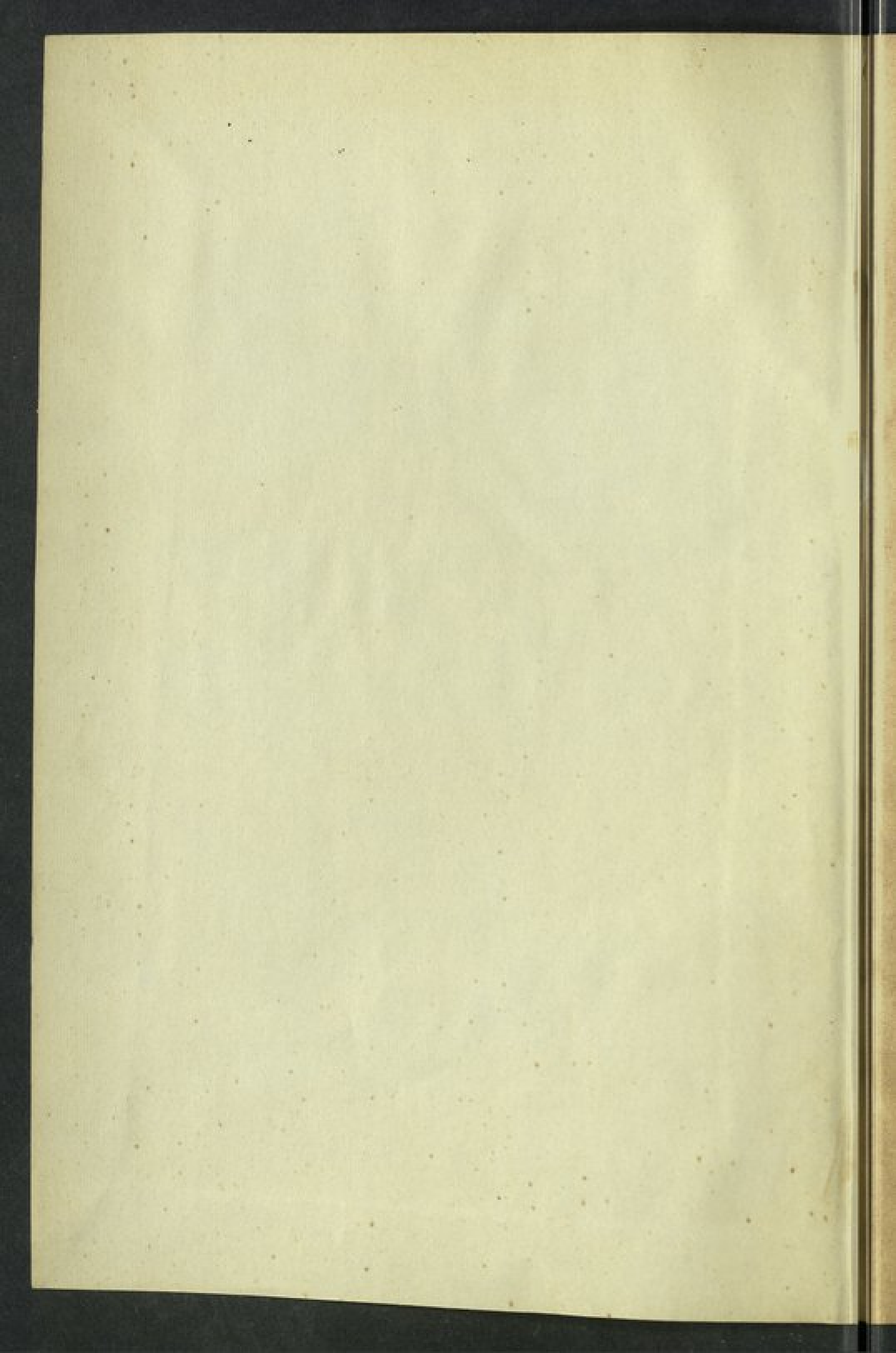
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٢	عنه ، بعنوان	الكتابه عنه بعنوان
٦	١٤	سطع	سطح
٨	٨	والارن	والاردن
٩	٥	٢٤	٢٤
١١	٣	البرموك	اليرموك
١٤	٨	لا يقتصر على	وهذالايقتصر على
١٥	١١	بالتدرج	بالتدريج
١٧	١٤	فى قلب الوادى	فى قلبه
٢٠	٦	FERAS.	FERNS.
٢٤	٣	أوربا	أوروبا
٢٨	١٤	الجنوب	الجنوب
٣١	٦	غبر	غير
٣١	٨	والجلهل	والجليل
٣٢	٦	جانب	جانبي
٣٢	١٦	أرضه	أرضية
٣٣	٩	الذى كثيرا	؛ وكثيرا
٣٣	١٢	فى	وفى
٤٢	٤	٠,٤ - ٠,٦	٠,٠٤ - ٠,٠٦

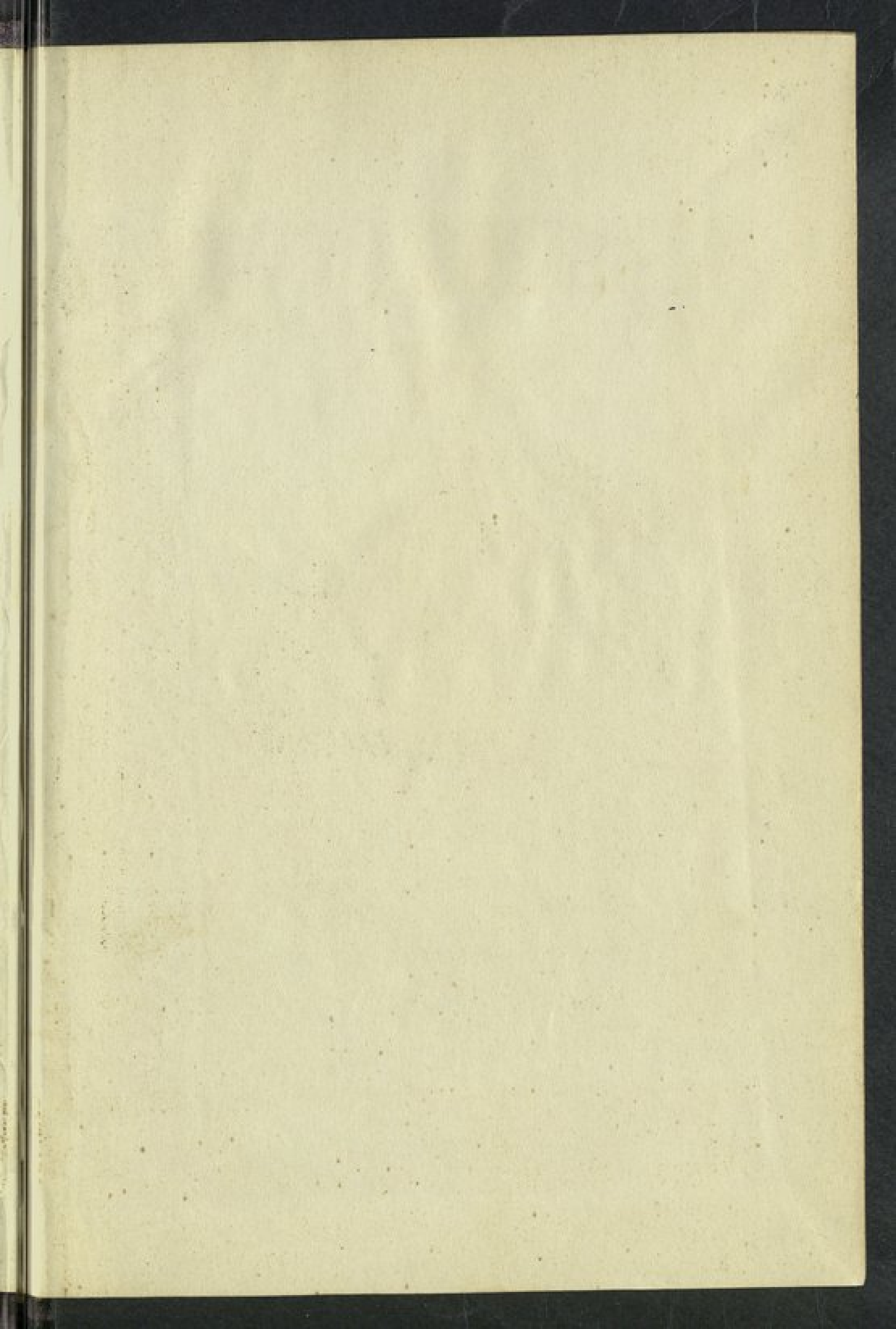
تابع تصويب الأخطاء

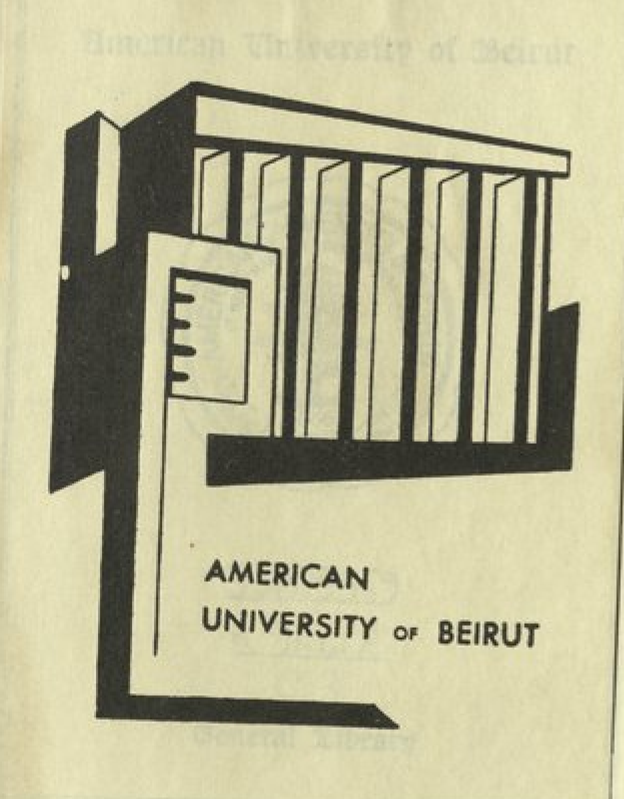
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩	٢١	بمعض	بعض
٥٥	٧	عمرها	عمرها
٥٦	٨	الحيوانات	الحيوانات الكاسرة
٥٦	٩	ذو	ذى
٦٩	٧	١٩١٢	١٨١٢
٦٩	١٤	١٩٢٣	١٩٣٣
٧٨	٨	طازسه	طازجه
٧٩	١٦	عور	غور
٨٠	٣	٣٢٩١	٢٢٩١
٩٠	٨	الاردن، بعدذلك	الاردن بعد ذلك
١٢٨	١٦	المعينين	المعنيين
١٥٦	٢١	« اسرائيل »	ب « اسرائيل »
١٥٨	٧	Amertca's	America's










AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

